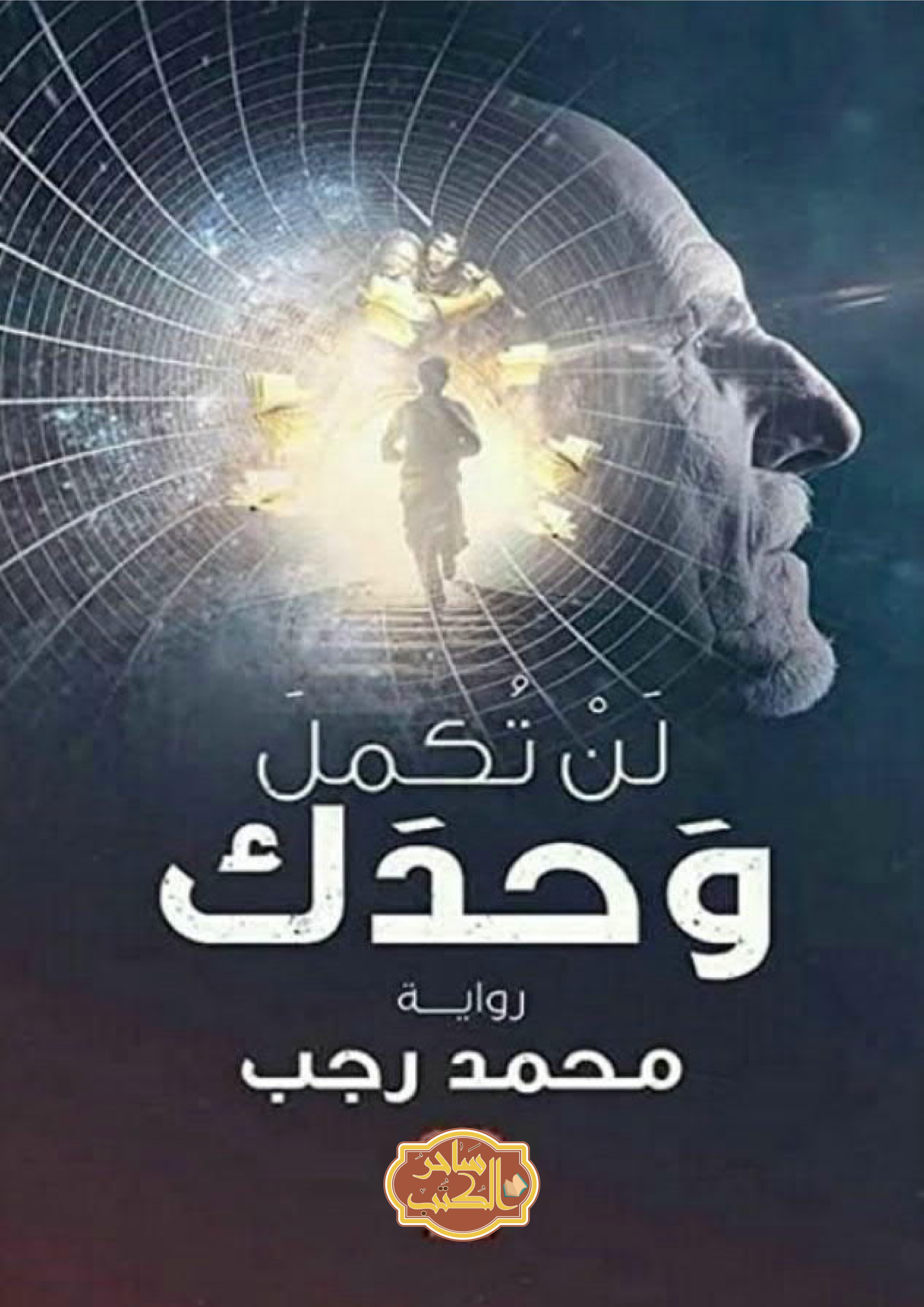

لَنْ تُكملَ
وَحدَك
رواية
محمد رجب
ساحر الكتب



محمد رجب

لَنْ تُكمل وَحدَك

رواية



عصير الكتب للنشر والتوزيع

((سأموت وحيدًا

قالت عرافة قريتنا ستموت وحيدًا
قد أشعل يومًا مدفأتي
فتثور النار.. وتحرقني
قد أفتح شباكي خوفًا
فيجيء ظلامٌ يغرقني
قد أفتح بابي مهمومًا
كي يدخل لصّ يخنقني
أو يدخل حارس قريتنا
يحمل أحكامًا وقضايا
يخطئ في فهم الأحكام
يطلق في صدري النيران
فيعود يلملم أشلائي
ويظل يصيح على قبري
أخطأت وربي في العنوان))

فاروق جويدة



«أين أنا؟»

كان هذا السؤال الأول في عقل «فايز»، والذي انفجر بعده بركان من الأسئلة:

«كيف أتيت إلى هنا؟ ومتى؟ ولماذا تبدو الشوارع خاوية إلى هذا الحد؟ آخر ما أتذكره أنني ذهبت إلى المدرسة.. حصة العلوم الحيوية. بعدها ذهبت إلى حافلة المدرسة، لكني لم أدخلها، لقد عدت.. لا أتذكر لماذا.

لقد سقطت.. أتذكر ذلك أيضًا، لقد سقطت من ارتفاع ليس بقليل.. أتذكر الألم في مؤخرة عنقي، والدم الدافئ الذي تدفق على كتفي، ولكن كيف أتيت إلى هنا؟ ومتى؟ ولماذا تبدو الشوارع خاوية إلى هذا الحد؟»

سار «فايز» بعدها لساعات في شارع دون تعب. وكذلك لم ينتهِ الشارع. البيوت على جانبي الطريق متشابهة إلى حد كبير، وتتداخل فيما بينها كصورة مشوشة في رأسه، يبدو أن ذلك من أثر الصدمة.. رأى الشمس وسط السماء ووجد فيها الرفيق، فكلاهما وحيد اليوم.

سار لساعاتٍ أخرى، ولم ينتهِ الشارع. لم يملك رفاهية اختيار الطريق، لأن هذه المدينة الغريبة كانت شارعًا واحدًا دون أي شوارع جانبية. اقتصر دوره فقط على



اختيار الاتجاه، والذي اختاره منذ بدأ سيره الذي استمر لساعاتٍ أخرى.. ومجددًا لم يتعب «فايز». بدأت الوحدة في السيطرة عليه، وطغت على خوفه. فقد خلت هذه المدينة الغريبة من البشر، أبواب البيوت موصدة.. يبدو أن شوارعها كأسئلته؛ كلاهما بلا نهاية.

وقبل الغروب بقليل لاحظ ذلك الشيء البعيد، لا يعلم ما هو، لكنّه بالتأكيد ليس كالبيوت التي يراها على جانبي الطريق طوال اليوم. رأى فيه الأمل والأنس، رأى فيه سؤالًا جديدًا، ولأول مرة اليوم ابتسم «فايز».

ركض «فايز» نحو الأمل، ابتسم للشمس والأرض والبيوت المتكررة، ابتسم لذلك الشيء البعيد الغامض، وكلما اقترب زاد يقينه بأنه على الطريق الصحيح. ودّع الشمس أثناء ركضه، والتقى بقمر تلك الليلة العجيبة.

وفجأة توقف. التفت حوله بحركة مفاجئة، غير واثق مما سمعه، أو ما يتهيأ أنه سمعه. يبدو كحفيف أشجار أو مرور طائر بسرعة من مسافة قريبة. كل لحظةٍ الشارع يلفّه الظلام أكثر، ويقل أمله في رؤية مصدر الصوت. أحسّ بإحساس المُراقب، ونظر إلى السماء، فلم يجد الشمس التي آنسته طوال اليوم، نزل بعينيه ببطء كأنه يتوقع شيئًا ما أمامه لا يريد مواجهته، وعندما وصل نظره إلى الزاوية



الطبيعية، وجد أمامه طيفًا أسود يمد يده ناحيته، ألجمته المفاجأة فلم يتحرك، بحث في حلقه كثيرًا عن الصرخة ولم يجدها. لم يحاول فهم الشيء الموجود أمامه، لم يحاول فعل أي شيء.. فقط أغمض عينيه واستسلم لليد الممتدة ناحيته.

وكأنه يحلم بداخل ذلك الكابوس، شعر بشيء بارد يلامس وجهه، وبحركة غريزية لغريق وجد جسمًا صلبًا يتهادى على الماء، تشبث به بكل ما أوتي من خوف. أحس بقلبه يسقط في قدمه، نتج عن إحساس بالطيران عكس الجاذبية، ثم فتح عينيه مترددًا ليجد إحساسه صحيحًا، إنه يرتفع عن الأرض.. وقبل أن يستوعب سقط فوق أحد تلك المنازل، وشخص وسط الظلام يزيل الأحبال من يده التي تحجرت حولها. حاول فحص الجزء الذي سقط عليه، لكنه لم يستطع تحديده لأنه لم يؤلمه بما يكفي.

عقد الشخص الحبل حول كتفه باحترافية جاعلًا طرفه في قبضته، نظر إلى الطيف بالأسفل ليجده قد اختفى، ثم استدار ليواجه «فايز». كانت المفاجأة المرسومة على ملامح «فايز» أكبر من تلك التي ظهرت عندما رأى الطيف. بحث عن صوته كثيرًا، ليخرج متقطعًا بعد فترة:

— أمي؟



— أنس.. هل أنت بخير؟ ماذا أتى بك إلى هنا؟ كيف وصلت؟ هل تعلم الطريق؟ هل تعلم كيفية الخروج؟ هل أنت بخير؟

سألته أمه بسرعة ولهفة، استشف منها «فايز» أنها لا تعلم ما يحدث هنا، وأنها تائهة مثله. بينما ظهرت على أمه خيبة الأمل من نظرته، ولكن تبعتها بابتسامة. لقد أصبح الأمر أكثر سهولة، لأنهما وإن كانا خائفين، حائرين، فإنهما الآن لم يعودا وحيدين.

بدت أمه أصغر في ذلك الزمن، حيث ارتدت شورتًا بنيًا، وقميصًا أبيض بأكمام قصيرة. شعرها أقصر من المعتاد، لا يبلغ عينيها العسليتين. كانت عدة التسلق مُعلقة بالحزام الأسود حول خصرها، والحبل ملفوف على كتفها وطرفه الحر في يدها. تأملها قليلًا، وتأملته طويلًا ثم احتضنته، وقالت بهدوء غلب عليه الحزن:

— لا أتذكر كيف وصلت إلى هنا. وصلت منذ أكثر من مائة يوم، لا أعلم كم يومًا بالتحديد فقد فقدت العد بعد الشهر الثالث. مشيت في المدينة لأيام، درست كل منزل وحاولت دخولهم جميعًا.. لكن لا فائدة. لا أعلم هذا المكان أو الزمان. كل ما أعلمه أن هنا قانون واحد؛ لا تلمس الأرض في الليل. تلك الأشباح تطاردني كل ليلة



منذ وصولي.

توقفت فجأة وكأنها تذكرت شيئًا:

— هل تتذكر أين كنت قبل أن تأتي هنا؟

— لست واثقًا.. كنت في المدرسة، وكأنني سقطت من مكان مرتفع.

— أنا لا أتذكر.

أشار «فايز» بيده ناحية البناء المختلف الذي اتخذ شكل الفنار:

— ما هذا البناء؟

— إنه الفنار.. وصلت إلى هناك وحاولت التسلق إلا أنني فشلت. حاولت لفترة وفشلت. تنير في بعض الليالي، وفي بعضها تظل كما تراها. أظن بمساعدتك سنتسلقها معًا، سنفهم كل شيء هناك.. أنا واثقة من ذلك.

— وما تلك الظلال الموجودة فوقها؟

— ضوء القمر يكفي ليُنيرها عادة، ولكن الغيوم كثيفة هذه الليلة.. حروف حجرية ضخمة غير منتظمة تقول «كم» ويتبعها الرقم واحد. أظنها كانت جزءًا من جملة ولم تُستكمل، أو هي كاملة على هذا الأساس وتسأل كم شخصًا؟ أو السؤال كم، والإجابة «واحد»



لأني كنت وحدي.. وقد نُثار لنراها اثنين بعد ذلك.

بدا الأمر كالحلم.. فجأة انتقل من عالمه إلى عالم آخر ذي بعد آخر. عالم بوحوش ومنازل متكررة. عالم لا يوجد به بشر سوى أمه، والتي انتصبت تنظر إلى الفنار كأنها تناجيه.

قضيا ليلتهما يتسامران. يبدو أن الوحدة والوحوش انهزما تلك الليلة. ويبدو أيضًا أن في هذا البُعد لا حاجة للأكل أو الشرب أو النوم.

مع أول ضوء للفجر وبحركة سريعة، قفزت أمه من فوق المنزل، ورغم الارتفاع هبطت منتصبة على الأرض. قفز مقتديًا بها، لكنه سقط على ظهره، ليكتشف أن هذا البُعد لا يصله الألم أيضًا.

سارا لمدة وجيزة حتى وصلا تحت الفنار كما أطلقت عليه. ربطت أمه عقدة بسرعة واحترافية حول كتفه، وأخبرته أن الأشياء هنا لا تنكسر، وهذا ما منعها من التسلق سابقًا لأنها لم تستطع كسر أي شيء لتثبيت الحبل.

أخبرته بأن يقوم بذلك الدور، وألا يقلق لأنه لن يشعر بألم، وكذلك إذا سقطت هي، لن تتأثر. ظلت تُلقي الحبل ليصل -في المحاولة الرابعة- إلى الشرفة، ويسقط من الجهة المقابلة.

تعلقت في الحبل وطلبت منه السير، فأصبح يسير من



ناحية، وهي ترتفع من الناحية الأخرى، كفكرة عمل الرافعة. وظل الأمر كذلك حتى وصلت إلى شرفة الفنار. ثم سحبته بسهولة وهو متعلق في الحبل.

دخلا بحذر من الشرفة إلى الغرفة الوحيدة. وقد كانت غرفة مستديرة متوسطة الاتساع، منخفضة الارتفاع.. ولكنها خاوية.

نظر «فايز» إلى أمه ليجدها تتحسس الجدران بهدوء، ثم بدت حركاتها أكثر عصبية. سألها في حذر:

— ماذا يحدث؟

— لا شيء.. لا شيء يحدث. يجب أن يحدث كل شيء هنا. أين السبب؟ أين الدليل؟ كيف سنعود؟

قالت الأخيرة بلهجة أقرب للبكاء رغم صراخها. احتضنته أمه، وهو غير مستوعب:

— انتهى كل شيء.. سنظل هنا إلى الأبد. هل تفهمني يا أنس؟ سنحيا هنا إلى الأبد. لن نموت.. لقد حاولت الانتحار. سنعيش إلى الأبد هنا.

وكعادة «فايز»، يحتضن أمه ويعلم في قلبه أن هذا حلم وسينتهي بعد لحظات، لطالما انتهت الأحلام والكوابيس. ما زال عقله شاردًا، وما زالت أمه تبكي.. وما زالت الغرفة خاوية. رآها تستند إلى الحائط، منكسةً رأسها، فخرجت



الكلمات منه ببطء:

— ولكن ما مصدر الأضواء؟

انتبهت أمه لكلماته:

— صحيح.. الأضواء. سنظل هنا حتى تومض في ليلة ونرى مصدرها. هذا هو السر، ومنه سنفهم كل شيء. لا يوجد أي تفسير آخر.

تمتمت بعدها بعبارات قصيرة، ولكنها لم تصل إلى سمعه. وجلسا مستندين إلى الحائط. ومرّ ذلك النهار.. ثم مرّت تلك الليلة.

وليلة وليلة وليلة.. وفي كل ليلة تقف الأشباح أسفل الفنار بالآلاف، يكاد الغيظ يقتلهم إن كانوا يُقتلون. وفي الليلة الخامسة اختلف كل شيء.

جلسا كعادتهما مستندين إلى الحائط، وقد انفض الحديث منذ ليالٍ ولم يتبقَ شيء يُقال. عمَّ الصمت ولا يُسمع إلا صوت الأشباح تحوم أسفل الفنار، ظهر ضوء أبيض شديد وسط الغرفة أجبرهما على تغطية عيونهما لثانية، وبعد اختفائه ظهر مصدر الضوء، وقد كانت كرة بيضاء متوهجة في حجم كرة القدم.

بدت الأم متوجسة، بينما مدّ «فايز» يده ناحية الكرة يتحسسها بغير وعي. وفجأة وجد نفسه مُمسكًا بيد أمه في



أرض خضراء واسعة، يبدو أنهما قد عادا أخيرًا.. ابتسامتها توحي بذلك.

وجد أخته الكبرى تجري ناحيتهما، دموع الفرح والاشتياق:

— أمي، أنس.. أخبراني أنكما بخير.

بعد الحضن الذي جمع الثلاثة، والبكاء الذي اشتركتا فيه دون «فايز»، جلسوا في وسط الخضرة. وما أجمل تلك الجلسة! لقد أصبح كل الجمال مضاعفًا بعد هذه التجربة.

نسوا الكون وما فيه؛ نسوا الأشباح، ونسوا الحزن، والأهم أنهم قد نسوا الوحدة.

حكت الابنة كيف كانت الحياة صعبة بدونهما. فأخوها الأصغر يغيب لمدة أسبوع بعد أن كان كل شيء بالنسبة لها، خاصةً بعد مرض أمهما. قست عليها الوحدة والحزن، زيارتها لهما في المستشفى، ومحاولة ألا تُضيع وظيفتها الجديدة كمعيدة في الجامعة.

نظر «فايز» إلى أمه في فزع. لأول مرة يدرك أن ما حدث لم يكن حلمًا. وفزعه كان أكبر عندما رأى نفس نظرته على وجه أمه كأنه ينظر في مرآة. سألت أمه بتوتّر:

— أي مرض؟ هل مرضت؟ هل مرض أنس؟

— لقد سقطتِ في مسابقة تسلق منذ أربعة شهور



تقريبًا، ومن وقتها كنتِ في غيبوبة. أما أنس فلقد وجدناه في المستشفى منذ أسبوع في غيبوبة أيضًا. لا نعلم السبب ولكنّهم نقلوه من فناء المدرسة، منذ أسبوع ظننا أننا فقدناك يا أنس، لولا مقاومتك وعودتك للحياة مرة أخرى.

تبادل الثلاثة النظرات؛ «فايز» خائف وكعادته لم يستوعب بعد، وأمه خائفة من أن يكون ما خطر ببالها صحيحًا وخافت أكثر من أن يكون خاطئًا وتعود للا فهم. بينما أخته ابتسمت بفرح وهي تشد على يد أنس. وبعد لحظات انتقلت إليها عدوى الخوف، فاستطردت في محاولة لتصحيح خطأ لا تعلم ما هو:

— اشتقت إليكما كثيرًا.. لقد شاهدت صورنا معًا اليوم مجددًا قبل النوم.

وفجأة انتبهت للخطأ.. إنها تحلم. فاختفت الكرة البيضاء، وعاد الظلام.

•••

— إنها تحلم، ونحن في غيبوبة.

ظلت الأم ترددها في عدم فهم، و«فايز» يجلس في عدم وعي، منتظرًا أن ينتهي هذا الكابوس. ولم يعلم لماذا بدرت منه، ولماذا كانت بهذا الصوت الخافت:

— إني أتذكر سقوطي في فناء المدرسة.

جمدت الأم للحظات، وردت الأخرى بصوت خافت:

— قضيت هنا أربعة شهور تقريبًا، أي مدة غيبوبتي.

لم يتفاجأ «فايز»، فلقد وصل إلى نفس الاستنتاج منذ مدة، ولكن فاجأه ما بدر منه بصوت أعلى قليلًا:

— لقد كادت الأشباح أن تأسرني منذ أسبوع، وهي كادت أن تفقدني من أسبوع.

لم تُعقب الأم، وذهبت إلى الشرفة. بينما في هذه اللحظة ارتعد جسده بعد ذكرهم، وظهر صوتهم بالأسفل أوضح وأكثر رعبًا.

قضيا ثلاث ليالٍ معًا سمحت لهما باستيعاب أكبر، وتحليل أعمق. وكلما مضى الوقت، زاد الفهم وقلّ الكلام وشخصت الأبصار إلى الفراغ.

في الليلة الرابعة أضاءت الكرة مرة أخرى. نظرت إلى أنس في تردد، وأمسكت يده ثم وضعت يدها الأخرى على الكرة. تغيّر العالم حولهما في لحظة. في ذلك العالم لم يفهم «فايز» سبب صعوبة الاتزان، ونظر في تردد إلى أمه، بينما دخلت عليهما أخته مبتسمة وقد حملت فطورًا ذا رائحة نفاذة:

— صباح الخير.



لم يردا التحية، فاستطردت:

— اليوم جميل جدًا، ولقد أرسيت القارب في هذا المكان لهدوئه وقلة المراكب فيه.

فهم «فايز» سبب شعوره السابق بعدم الاتزان. نظر إلى أمه التي وجدها تقترب من أخته بهدوء وقالت:

— هل تتذكرين الحلم السابق؟

رأى الفزع تجسد على وجهها، واحمرّ بسرعةٍ تلائم التغيرات في الأحلام، استطردت الأم بسرعة قبل أن تستيقظ ابنتها:

— نعم إنه حلم آخر، ولكن لا أعلم كيف أصيغ لكِ العبارة.. لكننا حقيقيان.

تبدّل المكان فجأة، ووجدا نفسيهما في غرفة أخته في المنزل. تبدّلت الملابس أيضًا، واختفت ابتسامة الابنة. استأنفت الأم حديثها محاولةً أن تحافظ على بقاء ابنتها في الحلم:

— الطريقة الوحيدة التي نتقابل بها، هنا في حلمك. من الواضح أنكِ من تتحكمين في الظروف المُحيطة. ولكن أرجوكِ ألا تستيقظي.

اختتمت الجملة الأخيرة بدمعة سقطت من عينيها، وبدلًا من أن تلمس أرضية الغرفة، لمست رمال الصحراء.. لقد



تبدّل المكان مرة أخرى. ورغم الصدمة البادية على عيني الابنة، ورغم بكاء الأم، بدا «فايز» متماسكًا، وتحدثت الابنة لأول مرة:

— سأظل معكما.

لم يستطع «فايز» أن يستشف المعنى من نظرة أمه كما تعود، فقد اختفت كرة الضوء.. وعادا إلى الفنار.

•••

— ماذا تعني بأنها ستظل معنا؟ هل كانت تقصد أنها ستحاول ألا تستيقظ؟ أم أنها ستأخذ حبوبًا مُنوِّمة فيما بعد على أمل أن نلتقي؟

سألت الأم نفسها في قلق، وبصوت مرتفع. لا تعلم السبب ولكن رغم الخوف من الوحوش، والوحدة، وعدم الفهم كان القلق هو المُسيطر عليها بالغريزة في تلك اللحظة. بينما فرح «فايز» في قرارة نفسه، لأن هناك شيئًا جديدًا يستطيعان التفكير فيه، والتحدث عنه لأيام. استمتع بمحاولات أمه للفهم، وطرحها للعديد من الأسئلة.. لطالما آنسته الأسئلة في وحدته. وفي محاولة منه للاشتراك قال بعفوية:

— أو ربما ستحاول الدخول في غيبوبة.

توقفت الأم التي كانت تسير بعصبية، جمدت وثبتت



نظرتها، زاد القلق في الغرفة الوحيدة في ذلك البُعد، والذي لا يعلم «فايز» سببه، ولم تبح هي بكلمة. حتى انتبه لما قال. لقد كانت أخته مُعيدة في كلية الطب في تلك الفترة، مسؤولة عن أبحاث غيبوبة صناعية تساعد المُسافرين إلى الفضاء على تقليل الطاقة والأكسجين بطرق أكثر فاعلية من تلك التي استخدمت في القرن الماضي. كان حلمها جائزة نوبل في السنوات القليلة القادمة. وعندما بدأت في التجارب على الحيوانات، كانت النتائج مُذهلة، وتم نشر أبحاثها العلمية في العديد من المجالات المتخصصة على مستوى العالم، وحاول الجميع مساعدتها في حل مشكلة بسيطة ليتم استخدام هذه التقنية، وهي إفاقة الحيوانات. كل الحيوانات التي دخلت الغيبوبة لم يتمكنوا من إفاقتها، وظلوا في الغيبوبة إلى أن ماتوا.

— يجب أن يستسلم أحدهم.

قالها «فايز» بنبرة مسموعة ومتماسكة، لتلتفت إليه أمه وتجده واقفًا على سور الشرفة:

— أنس، لا، انتظر.. أنس.

خرجت الكلمات من قلبها لا من فمها، خرجت مُعبأة بحزن ووحدة وألم تلك الشهور، خرجت بدموع حبستها طويلًا. ووقفت أمامه تستعطفه:



— أنس لا تفعل ذلك، ستأسرك الأشباح.. سأكون وحيدة. أنس لا يُمكنك أن تتركني.

— نحن موتى بالفعل.. وإن كان جلوسنا في الشرفة لأيام يمكننا أن نسميه حياةً، فإننا سنموت على أي حال قريبًا. غيبوبتك استمرت أربعة أشهر.. ما احتمال إفاقتك منها؟

وقبل أن ترد أمه، ختم كلامه بصوتٍ أعلى حمل كل ما في قلبه من ألم:

— إننا موتى.

كانت الأخيرة بصوت أعلى من صوت الأشباح بالأسفل والتي بدت متلهفة. مد يده إليها، فهزت رأسها وسط الدموع، ليستأنف هو:

— يجب أن نستسلم نحن، قبل أن تستسلم هي. نتوقف نحن، كي تستأنف هي. نموت نحن، لتحيا هي. الأشباح ستجعل الأجهزة تتوقف عن العمل. سنحظى بالراحة.. ستحظى هي بالراحة.

لانت الأم أكثر، وكلما لانت، زادت دموعها وخفت صوتها. مدت يدها وأمسكت يده، ووقفت بجواره على سور الشرفة. نظرا إلى الأشباح في الأسفل، والتي سكنت تمامًا وانقطع صوتها كأنها تُقدر هذه التضحية. نظرت إليه لترى

إصرارًا وسط دموعه.

قبلت رأسه، ويده، ومسح دموعها بيده. انتصبا موليين ظهريهما للأشباح، ونظر بعضهما إلى بعضٍ نظرة أخيرة سكن الكون كله من جلالها.. سكنت الأشباح في ترقب.. ومن خلف الدموع.. أغمضا.. مالا بجسديهما إلى الوراء.. وسقطا.

وأثناء سقوطه فتح «فايز» عينيه بفزع نتيجة صرخة اخترقت أذنيه، أقسم قبل أن تتلقفه الأشباح بأنه صوت أخته من الشارع اللامنتهي هناك، تشبه الصرخة التي لم يجدها في حلقه عندما كاد الشبح أن يأسره أول مرة.

•••



* 2 *

— واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. واحد..

ظل يرددها بنغمة رتيبة متكررة، وبصوت خافت. وعندما أيقن أن هذه الحيلة لن تجدي نفعًا، ولا مفر من العودة إلى المُنوِّم، قال بصوت أعلى قليلًا:

«إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات»

تبدلت إضاءة الغرفة إلى إضاءة نيون بيضاء، وضحت معالم الغرفة الخاوية إلا من سرير وكمود صغير بجواره.. ولا شيء آخر جاعلة الإضاءة بزاوية تُلقي بظله إلى جانبه بحيث لا يُعاكسه عند الكتابة. ومن جانب الغرفة ظهرت دائرة ضوء أحمر أرسلت أشعة ليزر متفرقة، شكلت أمامه شاشة ولوحة مفاتيح من الضوء الأحمر. اعتدل في جلسته، ورأى انعكاس بشرته السمراء الممتلئة بالتجاعيد، والشعر الأبيض الذي لم يبق منه الكثير، ولحيته غير المتناسقة. اعتدل مرة أخيرة لتصدر مفاصله صرخات اعتراض، تذكره بأنه كثير الحركة. تنهد وأصابعه فوق لوحة المفاتيح ثم كتب:

«الأول من سبتمبر..

يوم آخر من العذاب.. من الواضح أنه ليس الأخير. يفارقني النوم، يتركني لعدوي الأكبر، يتركني لأفكاري



ومخاوفي. لم يعد شيء يفيد لا ترديد الأرقام، ولا العد التنازلي. لن يأتيني النوم الليلة..

حتى القصص التي كنت أسرق بها لحظاتٍ من الأنس صارت كئيبة. قصة اليوم كانت لطفل أو ربما شاب اسمه أنس، فقد كل شيء، وانتهت القصة بفقدانه لحياته أيضًا. لم تكن لحظة جيدة عندما وقفت على تلك الشرفة، ورأيت الدموع في عيني أمي.. لا بد أن أقرأ القصص قبل أن أقبلها.

لا أعلم لماذا لم أتكلم عن هذه الآلة في المذكرات حتى الآن رغم مرور أكثر من سنة، واكتفيت بالتعقيب على القصص. حسنًا.. كنت ممن شهدوا الهاتف المحمول كاختراع جديد في طفولتي، وشاهدت كيف انتشر في سنوات قليلة، ثم حمى الهواتف الذكية التي أصابت العالم. بعدها بسنوات بدأت حمى جديدة وهي حمى الألعاب التخيلية ثلاثية الأبعاد.

هذه الألعاب مُصممة كي تستغرق في اللعبة، تتواصل مع الآخرين بداخلها حتى لو كانوا من قارةٍ أخرى. تتحرك وسط الديكور المُصمم، وتقتل الوحوش التي قد تظهر لك. كانت من الألعاب المُكلفة والتي تجدها في منزل رياضي مشهور، أو شاب ثري يتباهى بها.



وبدأت في اكتساب أهميتها بعدما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الأولى في العالم وقتها، بأنه جاري دراسة التنسيق لاستخدام هذه التقنية في المناورات والتدريبات الخاصة.. واستحوذت على انتباه العالم يومها.. والصين انتبهت يومها أيضًا».

توقفت شاشة الكتابة لحظات ليخرج صوت آلي من مكانٍ ما في الغرفة:

«هل ترغب في البحث عن الصين؟»

رد «فايز» متأففًا من ذلك البحث التلقائي الذي لا يستطيع تعطيله:

«لا.. إيقاف البحث التلقائي»

رد الصوت مرة أخرى: **«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»**

رد بغيظ: «نعم.. تعطيل البحث التلقائي إلى الأبد».

«تم تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة».

مرت لحظات حتى فُتحت شاشة الكتابة مرة أخرى، ولحظات أخرى لاستعادة الأفكار، ثم استأنف:

«كعادة الصينيين، لديهم قدرة على تعميم أي شيء وإيصاله بنسخة أرخص و جودة أقل لدول العالم الثالث. أبدعوا في الألعاب ولم تعد ألعاب قتال فقط،

وأصبحت ألعابًا رياضية. ولأول مرة في العالم؛ أنشأت دبي ملعبًا بالحجم الطبيعي للعب كرة القدم بهذه التقنية، وسمحت فيها بالحركة والقفز وطورت فيها بشكل كبير سمح لزائري الملعب باللعب مع مشاهير العالم دون الحاجة لحضورهم المادي.

بعدها بقليل بدأت حمى تشبه حمى الهواتف المحمولة، وانتشرت المحلات المختصة في البيع والصيانة.. وبعدها انتشرت محلات تأجير هذه الآلات بالساعة. والتي اكتفوا بتسميتها في مصر الآلة أو الجهاز. لم تكن الأم المصرية بأي حال لتنادي بصوت جهور «يا مصطفى إن لم تترك ذلك الجهاز خماسي الأبعاد الملعون وتأتِ سأخبر والدك».

على أي حال افتتح «عمار» محلًا من تلك المحلات. ولأنه مبرمج متمكن وعمل في شركة برمجة شهيرة حتى تحرش لفظيًا بمديرته، استطاع تطوير واحدة من تلك الآلات كي تخوض تجربة ما يشبه الفيلم القصير بداخلها. ولأنه مُسوق متمكن وعمل في شركة تسويق شهيرة حتى تزوج مديرته، جاءته فكرة تسويق تلك الآلة الجديدة على أساس أنها آلة لاختبار القصص والروايات قبل عرضها على القارئ. لطالما كان حلم الكتّاب أن



يقابلوا بطل قصتهم ليخبرهم بما عاناه، وما يراه خللًا في الرواية.

ومن وقتها يتولى هو أمر برمجة الأحداث والديكور لكل قصة، ويتولى المترجمون ترجمة القصص إن كانت من بلد غربي، وأتولى أنا استخدام الآلة. لم يصمد معنا ممثلون كُثر، فمن يقدر على قتل نفسه اليوم في قصة كئيبة، والخوض في تجربة كاتب رعب في اليوم التالي، ثم يعود بالزواج في تجربة اجتماعية أكثر رعبًا؟

على أي حال، يوم آخر من الوحدة قد انقضى. والآن يجب أن ألجأ إلى المُنوِّم كي أستقبل الغد. لم يقل استخدامي له بسبب ما قاله ذلك الطبيب، وإنما لخوفي من أن يتعود عليه جسدي، ولا يعود له تأثير في نظامي العصبي.. وقتها ستكون المصيبة الكبرى)).

مجددًا تسرقه الأفكار، لن يهزمها سوى المُنوِّم. يتردد في ذهني ما قاله جويدة عن حالتي، ولكن أظن المُنوِّم سيهزم كلامه أيضًا:

الليلة أجلس يا قلبي.. والضوء شحيح
وستائر بيتي أوراق مزقها الريح
الشاشة ضوء وظلال والوجه قبيح
الخوف يكبل أجفاني فيضيع النوم



والبرد يزلزل أعماقي مثل البركان
أفتح شباكي فيصمت
يتسلل خوفي يغلقه
فأرى الأشباح في كل مكان
أتناثر وحدي في الأركان»

•••



* 3 *

بدا الشارع هادئًا في ذلك الوقت من النهار، فمن ذهب إلى دراسته أو عمله قد ذهب، ومن اشترى الفطور قد اشترى. خلا الشارع إلا من عدد قليل من المارة، وتلك السيارة. بدت متألقة تحت أشعة الشمس بلونها الأزرق وتصميمها الانسيابي. تحركت تحت أشعة الشمس بهدوء كأن صاحبها يتفاخر بها، أو كأنه ضمن العيش لمائة سنة أخرى فلا حاجة للوقت. ورغم محاولة الناس معرفة صاحب السيارة فإن الزجاج العاكس سمح لهم بمشاهدة انعكاسهم فقط.

وصلت السيارة بعد قليل إلى المقهى حيث توقفت. ترجّل منها، ووقف أمام باب المقهى الذي عكس طول قامته. ساوى ما تناثر من خصلاته، وتأمل نفسه قليلًا؛ هيئته رياضية لا شك، قليلون اليوم من حافظوا على تلك الهيئة. وجه أبيض يعكس حياة مرفهة، وملامح دقيقة.. لا بد أنه قد رضى عن مظهره. ملأ صدره بشهيق طويل أخرجه في زفرة واحدة ثم ابتسم بثقة، ووضع نظارته الشمسية لتغطي عينيه البنيتين، وقد علم أنه لن يحتاجها بعد لحظات، لكن يجب أن يكتمل الدخول الدرامي لـ«عمار».. ثم دفع باب المقهى.

دخل المقهى بخطوات واثقة، وبنظرة سريعة تفحص



المكان. كل شيء على ما يرام؛ المقاعد المستديرة على شكل براميل في مكانها المعتاد، الطاولات المرسوم عليها أعشاب وخلطات في مكانها بين المقاعد، البرواز المُعلق على الحائط وبداخله نسخة من لوحة مشهورة، رائحة المكان ذاتها المؤلفة من خليط من الأعشاب والبخور المحترق والتي تذكره بشيء ما في طفولته. لسبب ما ابتسم باطمئنان عندما رأى المكان شبه فارغ إلا من شاب مشغول بوجبته، وعجوز اعتادت المكان وقد بدت مشغولة بالموسيقى التي تتهادى في المقهى، حتى الكؤوس والزجاجات على المنصة، ما زالت في مكانها.. لكن أين هي الآن؟

— لم تأتِ بعد.

فاجأه الصوت المتحشرج، ليلتفت إلى المنصة الطويلة مرة أخرى ليجد عجوزًا يخرج من أسفلها. فرد قامته بجهد، وابتسم ابتسامة بدت طفولية مُبهجة. كذلك بدت عيناه غائرتين وسط تلك الغيمة من التجاعيد، حاجباه فقدا الكثير بفعل الزمن كأغلب شعره، وإن أضفت لحيته البيضاء الخفيفة غير المستوية القليل من الجمال إلى وجهه الأسمر.

انطلق صاحبنا بخفة تليق بشبابه إلى المنصة، واتخذ

مقعده أمام العجوز، وقال بمرحه المعتاد:

— ستأتي يا عم «فايز».. كلهن يأتين.

رفع الكأس الموجودة أمامه -والتي ملأها «فايز» لنفسه- إلى فمه دون رؤية محتواها، وأردف:

— لم يعد أحد يستمع إلى موسيقاك الكئيبة يا عم «فايز».

التفتت العجوز إليه، وبدت نظرتها متحفزة، بينما انتظر «فايز» للحظة حتى ارتفع صوت الكمان:

— تلك الموسيقى الكئيبة اسمها أنشودة السعادة. أنت لم تفقد الفتاة فقط، بل فقدت ذائقتك أيضًا.. إنها مضاد الكآبة.

— أولًا لم أفقد الفتاة، ستأتي وسترى. ثانيًا مرت قرون، منذ أن عزفها أحدهم.. هذه أقدم من أن تكون كلاسيكيات حتى.

لم يرد «فايز» وثبت عينيه على الباب ليفهم «عمار» أنها أتت. ليتحدث «عمار» بصوت أعلى لتسمعه هي:

— أعد تشغيلها مرة أخرى، هذه الكلاسيكيات تقتلني.

— أمرك يا أستاذ «عمار».

قاطعته فتاة بملامح رقيقة، وفستان أزرق ينم عن الذوق. ولم يمنع ظهر الفستان العاري المصمم من أن

يجعله قصيرًا، ولم يمنعه قِصر الفستان من أن يكون ضيقًا:

— لم أعلم أنك تحب الموسيقى الكلاسيكية.

قبّل يدها برقة، ثم عقّب:

— إنني أعشقها، وظننت لفترة أنني الوحيد الذي يستمع إليها اليوم.. ظننت أنك لن تأتي.

قال «عمار» الجملة الأخيرة وهو ينظر لـ«فايز» بانتصار، بينما أعاد «فايز» تشغيل الموسيقى مرة أخرى:

— لقد تأخرت قليلًا في البحث عن المكان، ولكنه يستحق ذلك المجهود بسبب تلك الموسيقى.

أشار «عمار» إلى السماعة الموجودة في سقف المقهى:

— اسمها نشيد السعادة.. مناسبة جدًا لإحساسي اليوم.

ابتسمت بخجل، بينما كتم «فايز» ضحكته حتى ابتعد عنهما بقدر كافٍ.

•••

توتّر بشكل بسيط لا يليق بمن يخرج مع فاتنة كهذه في موعدهما الأول، حتى إن توتّره البسيط لم يكن خوفًا من أن يتصرف بطريقة لا تترك انطباعًا، وإنما توتّر بطل العالم الذي يلاعب ناشئين، يجب أن يحقق انتصارًا ساحقًا.. وإلا يُعد انهزامًا. فخبرته تُتيح له إدارة الجلسة، ويُلقي الكلمة



منتظرًا ردًا معينًا يعتمد على شخصية الفتاة، والتي يستطيع تحديدها ببساطة.

مرت في أفضل مدة للمقابلة الأولى وهي ما بعد الساعة بقليل كما يقول «عمار»، وبعد أن غادرت رجع «فايز» الذي لم يكن في الصالة وقتها ليجده يجلس وحيدًا، فوقف أمامه يفصل بينهما المنصة. ظل «فايز» صامتًا للحظات حتى تكلم «عمار»:

— إنها مميزة بحق.

— إن كانت مميزة، ما نظرت لك من الأساس.

كعادة «فايز» في هذا الموقف، يستمع مُبديًا الاهتمام لما يقوله «عمار»:

— لقد كانت مُميزة.. أحبت الموسيقى الكلاسيكية، وانبهرت عندما لاحظت حبي لأنشودة السعادة وشغفي بالموسيقى الكلاسيكية بوجه عام.

اكتفى الأول بتلك النظرة، ليستأنف الأخير:

— لم أكن أعلم أن ذوقها بهذه الغرابة.. ثم الموسيقى لم تكن بذلك السوء، هي فقط لا تُلائم الجو العام في المقهى.

— مقهى اسمه «جرامافون» يُشغل موسيقى كلاسيكية.. فعلًا غير مناسب.



قالها في سخرية، ليغير «عمار» دفة الحديث مرة أخرى:

— أخبرتني عن جدها الشهيد في الثورة الأخيرة، وأنها فخورة بوطنيته وبشجاعته.

ابتسم «فايز» متوقعًا ما سيقال، و«عمار» فهم أن «فايز» استوعب فابتسم مكملًا:

— أخبرتها عن تلك الندبة في كفي، وعن صديقي في الجيش الذي كاد أن يسقط من حافة الجبل، لولا أن تشبث بيدي اليمنى، وتشبثت بيدي اليسرى بصخرة. ورغم جرح الصخرة ليدي، والدماء الزلقة التي تخللت أصابعي، لم أفلت صديقي حتى أدركتني الكتيبة وأنقذناه.

— لا تقل أنها صدقتك.

هز «عمار» رأسه بثقة، قبل أن يتحدث جديًا:

— أنتظر منك مراسلة المؤلف الليلة لتناقشه في قصته. هو لن يحضر، فقط سترسل رأيك في رسالة. أنت تعلم أن باقي الحساب معتمد على تلك المراسلة.

— لا تقلق، لكن لا تقبل قصصًا بتلك الكآبة.. لقد أصبحت أقتل نفسي بشكل شبه يومي.

— القصة القادمة ستكون ساخرة لا تقلق.

قالها بلهجة ساخرة، واستأنف:



— سأذهب أنا لأقابل فيفتي، وقد أنضم لك في اجتماعك مع المؤلف.

ظهرت علامات التعجب على وجه «فايز»، وقبل أن يسأل تحدث «عمار» في ضجر:

— علي فيفتي، السمسار الذي يأتي بالقصص من معظم الدول العربية.. قابلته مرة.

— لا أتذكره.. ولكني لن أنساه، اسمه مميز.

— اسمه الحقيقي علي، وقد تعددت القصص التي تُروى حوله. ولكن القصة الأكثر رواجًا تقول أنه طفل من أسرة معدمة، أصبح من أطفال الشوارع في سن مبكرة. لم يتعلم فيفتي القراءة ولا الكتابة، وبالطبع لم يتعلم اللغة الإنجليزية.. فقط كلمة واحدة هي «فيفتي». أي صفقة تريدها؛ مشروعة أو غير مشروعة يستطيع تدبيرها لك، لكنه يرد عليك بكلمة واحدة: «فيفتي». يقسم معك العائد من تلك الصفقة، أنت العقل وعليه العلاقات والمسؤولية إذا ما واجهتما القانون.

لا أعلم كيف سمع بنا، ولكنه قدم لنا القصة الأخيرة، وسيقدم لنا بعض القصص قريبًا على حد قوله، ويأخذ الثُلث باعتبارك شريكًا ثالثًا لنا.

التقط «عمار» نظارته الشمسية من على المنصة وقام



مسرعًا.

— هذه قصة فيفتي.. غدًا مع قصة جديدة من ألف ليلة وليلة.

قالها بنبرة عالية وهو يغادر، وعلى الرغم من سخافة الجملة فإن «فايز» ابتسم.. ابتسم لشخصية «عمار» نفسها. «عمار» الذي عمل في طفولته، ليصرف على دراسته، ودرس البرمجة، ورغم تفوقه فإنه لم يستطع أن يستمر بسبب المصاريف، لكنه استمر بالمذاكرة من المصادر المجانية. ولأن العمل في الشركات الكبيرة يعتمد على الكفاءة فقد استطاع أن يهزم الجميع ويلتحق في شركة منهن، ولأنه غير مهذب طُرد منها. عمل بعدها في شركة أخرى في مجال آخر، ولأنه كان مهذبًا أكثر من اللازم تزوج مديرته، ولم يستطع تكرار الفيلم القديم بأن تترأسه مديرته فاستقال، ولأنه لم يكن مهذبًا كفاية فقد تطلقت منه بعد ذلك.. وها نحن شركاء في المقهى والآلة. وها هو رغم ما مرّ به، لم يفقد ابتسامته يومًا ولا إقباله على الحياة.

•••



*** 4 ***

الليل مُطبق والظلام كاحل، من بين الظلام يخرج صوت هادئ «إضاءة خافتة» نتبين على أثر الضوء «فايز» نائمًا على سريره الصغير في الغرفة، وصوته مستمر بتلك النغمة الرتيبة:

— واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. واحد..

«إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات»

قالها بصوت ملول بعد أن يئس من النوم مرة أخرى، تبعها إضاءة الليزر من جانب الغرفة لتظهر أمامه الشاشة ولوحة المفاتيح، وشرع في الكتابة:

«الثامن من سبتمبر..

الحقيقة لم يكن يومًا سيئًا بالكامل، قصة الأمس كانت جميلة وآثارها ما زالت تأخذني في أحلام يقظة. قضيت اليوم كله تقريبًا مستعيدًا أحداثها. كانت في العصور الوسطى، جندي عادي وسط آلاف الجنود، لكن يشاء القدر أن في المعركة الحاسمة يكون قريبًا من الملك.

الملك حسن السابق، حاكم الأرض والبحر المُسيطر على العالم كله منذ زمن. استطاع بسيطرته تلك أن يوحّد العالم، واستطاع أن يساعد الجميع بالقوة.. ساعدهم رغمًا عنهم. والآن يخوض الحروب الصغيرة ضد

المتمردين. ولكن حرب اليوم مختلفة، فالمتمردون جمعوا أنفسهم من أقاصي الأرض أمامه، فكما وحّد أهل الأرض، فإنه قد وحّد متمردي أهل الأرض.

الكل فاجأني يومها، فمن عهدته قويًا في المعسكر هرب من الساحة، ومن ظننته سيختبئ مع أول سهم تلقى الضربات عني. لا أعلم هدف المؤلف من شرح ساحة القتال بتلك التفاصيل، فالكل شاهدها في أفلام سابقة، والكل شاهد كيف تكون الهزيمة. كنّا ألوفًا وعندما تيقنا من الهزيمة، أصبح الهدف أن نحافظ على حياة الملك فهربنا به من وسط المعركة، عدد صغير غير ملحوظ، سبعة بيدهم مصير الملك، بيدهم مصير المملكة.

ولكن كعادتي في الحياة، كنت الأضعف بين حراس الملك الأشداء، فأنا مجرد جندي ينتهي دوره غالبًا بالتضحية به في بداية المعركة. ابتعدنا بالقدر الكافي، وبعد أن هزمنا التعب، خيمنا في ذلك الكهف إلى الفجر.. تلك كانت خطتنا. ومجددًا يشبهني البطل، رغم هول الحرب، وقلة الأكل، وطول السفر، فإن سلطان النوم لم يحل ليلتها.. ويا ليته حلّ.

الملك نائم، والحرس من حوله نائمون وإذا بأحدهم



يستيقظ، والآخر يستيقظ، وهم لا يدرون أنني أراهم. انتظرت لأرى الحرس الأشداء وهم يهربون، ولكن المفاجأة أنهم لم يهربوا بل قطعوا حبال الخيل كلها إلّا اثنين، ورفعا سيفيهما في الهواء وبعد إيماءة كل منهما للآخر دارت معركة بين المستيقظين في الليل والنيام. أخذوهم على غفلة منهم.

ولأن الحياة ساخرة، والمؤلف يعلم ذلك فلقد كنت آخر الأحياء لأنني الأضعف، فلم أمثل تهديدًا إن استيقظت. لا أعلم كيف استجمعت شجاعتي وقتلت أحدهم من الخلف، بينما قتل الحارس الآخر المُصاب الآخر، ولم يتبق سواي مع الملك الجريح.

إصابة الملك لم تكن خطيرة، ولكن جهلنا بالإسعافات..»

توقفت شاشة الكتابة مجددًا ليخرج ذات الصوت الآلي:

«هل تريد البحث عن الإسعافات؟»

أجفل من الصوت المفاجئ، ثم رد بغضب:

«لا.. تعطيل البحث التلقائي».

«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»

«نعم»

«تم تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة».

قطع ذلك الصوت، وتلك المفاجأة أفكاره، وجعلته يقرأ آخر ما كتب مرة أخرى ليستأنف:

«ولكن جهلنا بالإسعافات سيجعلها مميتة إذا لم نقابل أحدهم. أخذنا زوج الخيل المتبقي، والذي تركه الخائنون لأنفسهم وكان بينهما «الأترب» حصان الملك. سموه كذلك لسرعته وإثارته للتراب وراءه على منافسيه. سافرنا طويلًا، كلانا لا يعلم الطريق، كلانا لم يتعلم إشعال النيران، كلانا لا يستطيع الصيد فأنا لم أكن بارعًا في استخدام القوس قط، وهو مصاب لا يقدر على حمله. ظلت رحلتنا أيامًا على حالها، على أمل أن نقابل أحدهم حتى تمكنت الإصابة من الملك، ولم يعد بإمكانه الحركة. على قدر قدراتي المحدودة ساعدته، ولكن قدراتي كانت محدودة فعلًا.. لقد مات الملك، مات على ذلك التل وقت المغيب.

ولسخرية الحياة مرة أخرى، أجد قرية صغيرة خلف التل.. لم يكن بيننا سوى أقل من ساعة. لقد صمد أيامًا، إن صمد ساعةً أخرى فقط. على أي حال أخذت الملك على «الأترب» ونزلنا القرية، وبعد أيام وجدنا كتيبة من الجيش لتستلم جثة الملك.. ولما وجدوا سيف الملك



بيدي، أخبرني المستشار أن حامل «البتّار» هو الملك.
انتهت القصة مع بداية سعادتي، لا أُعلم لمَ يصر المؤلفون على عدم الخوض في اللحظات السعيدة دائمًا.
أيًا كان قضيت اليوم متخيلًا ماذا سأصنع بشعبي بعد أزمة الحرب؛ هل سأغير حرس الملك أم أعمل على كسب ولائهم؟

على أي حال انتهت القصة، وأظن أن انبهاري بها سيزول قريبًا، وقبل أن أحاول النوم مرة أخرى يجب أن أشكر تلك الآلة، فهي كالحلم بالنسبة لي. أظن أنها ثاني أفضل اختراع بعد الأقراص المُنوِّمة».

•••

* 5 *

أتى الصباح بعد الكثير من الوحدة والتفكير والقليل من النوم. أتى الصباح وابتسم «فايز» بصدق لرواد المقهى، لقد اعتزل حياة الثروة وادّعى أنه متوسط الحال كي يشارك «عمار» ويحتك بالناس. غالبًا ما تأتي الثروة مصحوبة بالعزلة، خاصة لمن هم في عمره. اكتمل الصباح بدخول «عمار» المقهى مع فتاة. لم تكن تلك الفتاة هي الفاتنة من الأسبوع السابق، وإن لم تقل عنها فتنةً. نظر «فايز» إلى «عمار» في عدم فهم فغمزه الأخير بعينيه. وبعد أن جلسا على المنصة أمامه، استأذنت الفاتنة الجديدة في الذهاب لدورة المياه، وفور مغادرتها ودون أن يسأل «فايز» تحدث «عمار»:

— لأوفر علينا الوقت وتلك المحاضرة الطويلة، لم أتوافق معها وانقطعت علاقتنا قبل أن يمر أسبوع واحد.

— هذا رقم قياسي حتى بالنسبة لك، لقد تفوقت على نفسك.

كتم «عمار» ضحكته، واستطرد:

— كانت مثقفة بشكل زائد، تتحدث عن الفلسفة والحرب والموسيقى.. لم أتحملها أسبوعًا.

— لتفاهتك يا عزيزي، وهل صاحبتنا هذه جاهلة؟



— بالعكس، معتدلة في كل شيء، والأهم أنها رومانسية تشعر وتغار على النقيض تمامًا.. وتعلم أنني تزوجت.

— هذا جيد، أخبرتها عن زواجك بهذه السرعة وهذا يدل على جديتك هذه المرة.

قالها «فايز» بجدية ممزوجة بالمفاجأة. فـ«عمار» لم يخبر البنات اللاتي قابلهن مسبقًا عن زواجه إلا بعد فترة، واستطرد:

— لكن هل تستطيع التعامل مع شخص رومانسي وأنت معدوم الإحساس؟

وكعادة «عمار» في ذلك الموقف أمال رأسه لليسار ليبدو جانب وجهه فقط وعليه ابتسامة غرور:

— يُمكنني أن أكون رومانسيًا يا «فايز».. لقد كنت رومانسيًا منذ تعارفنا. فهذا ثاني موعد بعد أن قابلتها في حفل عند صديق، تعرفت عليها وتحدثنا في أمور عادية. وبعد أن لاحظت تركيزها على المشاعر في الحوار، أخبرتها بفاجعتي وكيف كانت معاناتي مع..

قاطعه ضاحكًا:

— يا «عمار» لم أصادف في حياتي شخصًا بلا معاناة حتى صادفتك.



رفع «عمار» يده أمامه، في إشارة لـ«فايز» بالتوقف، وقد ارتسم على ملامحه الأسى وتحدث بنبرة حزينة:

— رحم الله زوجتي، بعد قصة حب دامت لثلاث سنوات مرضت بالزهايمر، ورغم نسيانها لي ظللت مداومًا على زيارتي لها. وفي مرة وبعد سنتين من المرض، وأثناء إطعامي لها، هجمت عليّ بسكين الطعام مخلفة تلك الندبة في يدي.

قالها وما زالت يده أمامه والندبة تتوسطها.. كتم ضحكته وحاول أن يُكمل بنفس النبرة الحزينة:

— وبعدها بيومين ماتت. لم أحزن على أن آخر ذكرياتي معها كانت هجومها عليّ، بل فرحت على تركها تذكارًا في يدي يُذكرني بها إلى الأبد.

نظر «عمار» إلى «فايز» منتظرًا أن يشاركه الضحك، ولكن «فايز» بدا مذهولًا:

— هل تؤلف تلك القصص في الليل، أم تحضرك أمامهن؟ لم أرَ في حياتي كذبًا كهذا، وصدقني لقد رأيت الكثير.. خاصةً منك.

عادت الفاتنة، ووجدت يد «عمار» مفرودة على المنصة تتوسطها الندبة فأمسكتها بحنان. وحيت «فايز» بابتسامة وتحدثت، فخرج الكلام أجمل من موسيقى المقهى:



— لقد أخبرني «عمار» عنك، وأنك كنت شاهدًا على زواجه الأول.

اكتست ملامح «فايز» بالمفاجأة المُفتعلة:

— هل أخبرك بزواجه بهذه السرعة؟

— لا أعلم عن «عمار» الكثير، ولكن إن كان هناك شيء مؤكد فهو عدم قدرته على الكذب.

— لقد قرأتِ شخصيته كأنكِ تعاملتِ معه لسنوات.

•••

استمر اللقاء للمدة المثالية للموعد، وبعد أن أقلها إلى المنزل عاد إلى «فايز» مرة أخرى.

— لا أريد تعليقات أخرى.. سنتحدث جديًا، هناك قصة جديدة..

قالها «عمار» وقد أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا مختصًا بنقل البيانات واستطرد:

— ولقد انتهيت من برمجتها.

ابتسم «فايز» قائلًا:

— هل سأموت مجددًا؟

ضحك «عمار»:

— هذه القصة مميزة.. وستعجبك.

•••

* 6 *

«أنا الأخير.. الكل مات سواي.

أكتب إليكم الآن، بجسد أنهكه العطش، وحرقته الشمس. أكتب إليكم بآخر دقات قلبي، وآخر أنفاس صدري. أكتب إليكم بروح تنازع للخروج من جسدي البائس. لقد كنت من ركاب سفينة بوسيدون المصرية، والتي غادرت بورسعيد في الأول من يناير عام ألفين وأحد عشر.

إذا تمكنت هذه الرسالة من النجاة على عكسي، فيجب أن يعلم كل من له عزيز على هذه السفينة أن لا أحد مفقود، لا يوجد نجاة، الكل مات. العاصفة أغرقت السفينة، وسوء التنظيم أغرق نصف قوارب النجاة والتي كانت لا تكفي نصف الركاب من الأساس. تمكن العشرات فقط من الوصول إلى قوارب النجاة، وأغلبهم مثلي من الطاقم. وها نحن فوج من القوارب نسير متجاورين.. فوج من قوارب الموتى.

رحمنا الله..

الناجي الأخير

عمر فؤاد»

•••

شعور لحظي بالغرق، إلى جانب برودة مفاجئة:

— أين أنا؟ هل مت؟ أين أنا؟

توقف «فايز» للحظات ليستوعب الموقف، والذي كان غريبًا بالنسبة لشخص استسلم إلى الموت. حيث وجد نفسه جالسًا في قاعة واسعة نصف دائرية وأمامه جمع غفير من الشباب والأطفال. فهم وقتها أن الإحساس السابق نتج عن الماء المُلقى عليه في محاولة لإفاقته. حاول أن يقف، اكتشف أن أقدامه مربوطة، حاول أن يحرك ذراعيه ليجدهما مربوطتين أيضًا. دقّق في الواقفين والواقفات، ليجدهم جميعًا يرتدون ملابس بالية تتكون في الأساس من الصوف، نظراتهم مليئة بالتوجس والخوف. حاول «فايز» أن يتذكر كيف وصل، لكن كل ما يذكره هو وجوده على القارب، وكتابته للرسالة، ووضعها في الزجاجة ثم إلقاءها في المياه.. لا يذكر شيئًا بعدها.

ظل على حاله خائفًا، والناس ظلوا على حالهم خائفين حتى ظهر من خلفهم شاب آخر يرتدي عباءة ذهبية اللون مختلفة عن باقي الملابس وقد تعلقت به عيون الجميع وما إن رأى عمر مكبلًا حتى ظهرت عليه الصدمة والمفاجأة. وقال في سعادة حقيقية، وبصوت يؤكد زعامته عليهم:



— إذن الأمر حقيقي.

لم يسأل «فايز» عن أي أمر يتحدث، ولا عن أهمية حقيقته. سؤاله الأهم كان هل كان يحلم أم السفينة غرقت بالفعل؟ ولكنه سيطر على فضوله للحظات، وتأمل زعيمهم الشاب بهدوء. لقد كان وسيمًا، أبيض البشرة فارع الطول، لم يتبين لون عينيه ولكنه متناسق مع وجهه، حتى أنفه الطويل بعض الشيء متناسق مع ذقنه المدبب في وجه يُعطي انطباعًا بالقوة والذكاء والزعامة. سأله الزعيم:

— ما اسمك أيها الخالد؟

أجابه «فايز» متجاهلًا وصفه إياه بالخالد:

— عمر.. عمر فؤاد.

أشار القائد بيده إلى «فايز»، ففك بعض الأطفال قيوده في حذر، ووقف لأول مرة منذ أن أفاق، وأخبره زعيمهم مرة أخرى:

— اسمي عاصم، الزعيم السابق لتلك الغابة.

فبدون تفكير، وبسؤال سريع:

— هل يمكنني أن أقابل الحالي؟

— إنه موجود معنا.

— أين هو؟

— إنه أنت أيها الخالد.

وضمّ عاصم قبضتيه بعضهما ببعضٍ وضمهما إلى صدره بقوة، ثم أمال رأسه لأسفل في حركة تنم عن الاحترام، وتبعه الجميع بنفس الفعل. نظر «فايز» في غير فهم، ولكنه يعلم أن الأمر غير مخيف. مجموعة من الشباب والأطفال يتوجونه ملكًا عليهم، في أسوأ الأحوال سيعيش قصة «ملك الذباب»، في محاولة لمجاراة ما يحدث تحدث «فايز» بصوت جهور:

— وبصفتي الزعيم، أعينك مستشارًا خاصًا يا عاصم.. فهل تتعهد بالإخلاص لي طوال العمر؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض في غير فهم، وارتفعت الهمهمات بينهم. ولاحظ «فايز» أنه قد اقترف خطأ ما، نظر إلى عاصم نظرة أن «أنقذني مما يحدث» فتحدث عاصم بصوت جهور يصل للجميع:

— أتعهد إليك بالإخلاص فيما تبقى من عمري وإن كان ليلة واحدة.

انفرد «فايز» بعاصم في القاعة، وسارا إلى نهايتها. حافظ عاصم على ألا يسبقه، أو يجاوره حتى. بينما أمسكه «فايز» من معصمه وجذبه إليه كأنه سيخبره شيئًا هامًا، فبدأ عاصم الكلام:

— هل تـ..



— لا حاجة للحديث..أنا لست خالدًا، لقد مت في المحيط منذ دقائق، أو ليتني مت. ولستُ قائدًا أو زعيمًا حتى، لقد كنت طباخًا في السفينة. أرجعني إلى بلدي وهنيئًا عليك الحكم، ساعدني أرجوك.

— حسنًا.. في البداية..

— لا أحتاج إلى مقدمات، أرجوك أرجعني إلى مصر. أين نحن في الأساس؟

— نحن في الغابة، وأنا لا أعلم أين مصر تلك، لكن..

— لا تعرف مصر؟ هل يوجد عربي لا يعرف مصر؟ أين كبيركم، أريد والدك أو والد أي منكم.

— لا يوجد أحد من والدينا هنا.. فقط نحن لأن..

— إذن هو مخيم من تلك المخيمات؟ متى سينتهي؟ هل سيعود أحد ليأخذنا؟

كانت نبرة عاصم هادئة وقورة طوال الحديث، بينما قاطعه «فايز» كلما همّ بالرد، حتى فقد الأول أعصابه قائلًا بنبرة عالية:

— اسمع ولا تقاطعني.. لا يحق لنا التحدث إلى الزعيم بتلك النبرة، ولكنك ترفض أن تفهم.

— أنا لست الزعيم.

أدرك «فايز» من نظرة عاصم أنه قد قاطعه لتوه:



— اسمعني للنهاية.. نحن أهل الغابة. لا أعرف مصر التي تتحدث عنها، ولا أعرف «عربي» التي قلتها. في الأساس نحن لم نعلم أن هناك عالمًا وراء البحر أو خلف الغابة. لطالما كانت النبوءة التي توارثناها تقول «بأن من البحر سيأتي إلينا الخالد، سيأتي في الساعة المحددة، وبالساعة سيحرركم من لعنتكم».

— أي لعنة تقصد؟

تجاهله عاصم:

— من الواضح أنك من خلف البحر، والناس هناك مثلك لا شيء مميز فيك.. أنت لست من تخبرنا عنه النبوءة، ولكن إن أخبرت شعبي بأن الخالد ليس من يظنونه، فإنني أقتلهم.

فقد «فايز» أعصابه وردّ بانفعال واضح:

— أنا لست خالدًا.

فسأل عاصم بهدوء:

— كم عمرك يا عمر؟

تردد قبل أن يجيب، فنبرة السؤال توضّح بأن هناك خدعة وراءه، ولكنه أجاب بصوت خفيض:

— ثلاثين إلا قليلًا.

— لهذا ندعوك خالدًا.. عمرنا هنا يا عمر لا يتعدى



الأربعة والعشرين عامًا. قد نموت قبلها في حادثة أو مرض، ولكن إن أتممت حياتك بدون مشاكل ستموت في الرابعة والعشرين.. أنت من تعديت الموت، لذا أنت الخالد.

وجم «فايز»، ليستطرد عاصم:

— لقد وصلت إلينا على قارب مقلوب، كأنك نهضت من أسفل البحر، ملامحك توحي بأنك تعديت السن الذي لم نر أحدًا يتعداه لهذا دعوناك الخالد.

لم يستطع «فايز» الرد، وانتظر ليفهم هل هذه دعابة أم الأمر حقيقي، وإن كان فكيف سيتصرف!

— انظر.. نعيش هنا منذ مئات السنين، عشرات الأجيال مرت من هنا، ولم يستطع شيء أن يبيدنا رغم صغر أعمارنا ذلك لأننا تمسكنا بشيء واحد.. الأمل. إذا خرجت الآن لأخبرهم بأن من يتطابق عليه وصف الخالد، ليس خالدًا بل إنه مجرد شخص من خلف البحر، وكل من هم هناك مثله.. بل فكرة وجود كون خلف تلك الغابة ستنتزع منهم كل ما آمنوا به.. سيقتل الأمل بداخلهم.

قبل أن يرد «فايز»، استطرد عاصم:

— سأريك شيئًا وسنقرر ماذا نفعل بعدها.



سار عاصم بخطوات تعرف طريقها جيدًا، بينما تبعه «فايز» بخطوات الحائر في الطريق، الحائر في السؤال، الحائر في التصرف، حتى وصلا إلى تجويف في نهاية القاعة تخرج منه رائحة مكان لا يتم تهويته بصورة جيدة، وهواء بارد يدل أنه لم ير الشمس منذ مدة حتى وصلا إلى باب موصد. وعلى الرغم من البدائية، فإن في أعلى يسار الباب قفلًا يُدار باليد كقفل الخزنة في عالم «فايز». أدخل عاصم خمسة أرقام، ليصدر صوت احتكاك معادن، ويُفتح الباب:

— من الواضح أنك مضطر للبقاء مع الشعب هنا لفترة طويلة، فيمكنني الحفاظ على صورتك أمامهم كخالد له السمع والطاعة، أو كمنبوذ يجب أن يصطاد أكله بنفسه. يمكنني أن أزوجك كل ليلة لواحدة من أجمل بنات الغابة، لتسكن معها في قصر الزعيم، أو تبقى وحيدًا في أقصى الغابة.. يمكنك أن تصبح الخالد، أو أن تبقى عمر.

وفي محاولة للهروب من الاختيار في هذه اللحظة سأله «فايز» بثبات ظاهري:

— ما المميز في هذا الكهف؟

— انظر بنفسك.



قالها مشيرًا إلى الرسم على الحائط. لم يستطع «فايز» رؤيته في البداية حتى تناول عاصم شعلة من جانب الجدار وقربها من الرسم. تعرّف «فايز» وقتها على الرسم، فلقد كانت دائرة مُقسمة إلى عدد من الأقسام المتساوية وبها ثلاثة خطوط مختلفة الطول تخرج من المركز في زوايا مختلفة.. قال «فايز» على الفور بلهجة حماسية:

— إنها ساعة!

ابتسم عاصم وتوغل في الكهف قليلًا حتى ظهرت رسومات أكثر، توضح رجالًا ونساء وشبابًا وأطفالًا في مختلف الأعمار، حتى إن أحدهم كان عجوزًا لدرجة أنه استعان بعكاز، ورغم اعتياد «فايز» على هذه الصورة في وطنه، فإنه تفاجأ منها هنا. والرسم الثاني يوضح اصطيادهم لشيء ذهبي مستدير من البحر، والرسم الثالث يوضح قتالًا على ذلك الشيء، والرسم الرابع يوضح انفجارًا يتوسطه رقم أربعة وعشرين.

نظر عاصم إلى «فايز» ليرى انطباعه، فلما وجد بصره ثابتًا على الرقم وسط الانفجار قال:

— لا أعلم إذا كنت تستطيع قراءة الأرقام، هذا أربعة وعشرون.. العمر الذي كُتب علينا نتيجة طمع أجدادنا.

— أستطيع القراءة، ولكني لا أصدق.

— ما زلنا نحفظ ونقرأ الأرقام لأن فيها خلاصنا، ولكن الحروف والكتابة هي ما فقدناه بمرور الزمن. انظر، هذا هو اللغز الذي يستطيع الخالد حله.

نظر «فايز» إلى المكان الذي أشار إليه، ليرى كلمات بسيطة مكتوبة، وأسفلها صورة لشيء لم يتبينه:

— ما الموجود أسفل الكلام؟

أخرج عاصم من أسفل ثيابه أسطوانة مرسوم عليها الرسومات الموجودة على الحائط بخط أصغر وأدق، ويتوسطها ست خانات متحركة كقفل حقيبة السفر. يستطيع تغيير الرقم الموجود في كل خانة ليُكوّن الرقم السري الذي يفتح الأسطوانة.

— إذا أدخلنا الرقم مرة واحدة بشكل خاطئ، ستتلف إلى الأبد، وحل لعنتنا الموجود بداخلها لن نستطيع معرفته.

نظر «فايز» مرة أخرى إلى الكتابة على الحائط، ثم نظر إلى عاصم في تحدٍ:

— لقد سألتني إذا ما أردت أن أصبح الخالد أم لا. الإجابة أنني الخالد.. لقد كُتب عليّ ذلك.

ابتسم عاصم في حبور، وسلمه العباءة الذهبية، والأسطوانة المغلقة قائلًا:



— انشر الأمل ما حييت، هذا قدرك يا عمر. الناس هنا لا يستطيعون عمل أكثر من شيء، العمر قصير. سأشرح لك كل شيء في جولة الغد.. أما الآن فاخرج إلى شعبك أيها الخالد.

•••



7

مع ضوء الفجر المنسل من الشقوق في سقف القاعة، دخل عاصم موقظًا «فايز»:

— هيا بنا.

— ألا يمكن أن تتأخر الجولة ساعتين فقط؟

قالها «فايز» بصوت ناعس يعكس تعب الأمس.

— لقد تركتك نائمًا لفترة طويلة لأني أعلم ما عانيته، لكن هل ستنام طوال العمر؟ استيقظ يا عمر.. هيا.

شعر «فايز» أنه كرر تلك التجربة التي فعلها مرات قليلة حينما نام أكثر من عشرين ساعة متصلة، وعزّز ذلك إحساس الجوع الطاغي عليه. تحدث بنفس النبرة الناعسة:

— هل نمت طويلًا؟

— أربع ساعات كاملة.

نظر متأففًا وعلق وهو يقوم من مرقده في جانب القاعة:

— النوم الصحي في حدود السبع ساعات تقريبًا.

بدت المفاجأة على وجه عاصم الذي قال بسرعة:

— غير معقول، إنكم لا تعرفون قيمة الوقت.

— لماذا هل تنامون أربع ساعات فقط؟

— بل ساعتين في اليوم.. لكن تركتك تقديرًا لما عانيته مؤخرًا.



قام «فايز» وارتدى عباءته الذهبية، ووضع الأسطوانة في فجوة مخصصة لها في العباءة من الداخل ناحية قلبه، وخرج مع عاصم الذي تناول الحديث والتعليق كلما رأيا شيئًا. فعند خروجهما كان الضوء في منتصف الغابة وباقي الغابة كثيف بما يكفي لعدم مروره.

— هذا أفضل وقت، فالجميع في وسط الغابة لجلسة الشمس.

— جلسة الشمس؟

نظر عاصم إلى «فايز» وتنهد بعنف:

— سأفترض أنك لا تعرف أي شيء عن أي شيء، وسأشرح كل شيء لك، لكن لا تقاطعني.. الوقت لا يسمح.

أومأ «فايز» في ضجر، واستطرد محدثه:

— الجزء الوحيد من الغابة الذي يعبره ضوء الشمس هو تلك الساحة. لم نكن نهتم بجلسة الشمس حتى الجيل السابق، وهذا سبب وجود عدد كبير من جيلي مُصاب بأمراض عظمية لا نعرف علاجها. لذا كان قراري عندما كنت زعيمًا هو الجلوس الإجباري في الشمس لأهل الغابة جميعًا لنصف ساعة في الصباح على الأقل، ورأينا انعكاس ذلك على أطفال الجيل الجديد.. لقد كاد



خطأ بسيط كهذا أن يفنينا.

— قرار حكيم، اشرح لي ماذا يعمل الناس هنا.

— للأسف الموضوع ستجده بسيطًا على نحو مخيب للآمال. نحن لا نعمل، فنحن لا نحتاج للعمل. الغابة تكفينا عندما كنّا ألوفًا فما بالك بعد أن أصبحنا مئتين فقط.

— وهل توجد عملات؟ أو سبيل للتجارة؟

— لا أفهمك، لكن توجد أربع مهن رئيسية. أولًا: اللحاد، من يدفن الموتى ويقوم بهذه المهمة فتيان القرية الأطفال حتى سن العاشرة. ثانيًا: القابلة، التي تولد سيدات الغابة، وتقوم بهذه المهمة فتاة من كل جيل يتم العهد عليها بعدم الزواج كي نضمن استعدادها لأداء وظيفتها في أي وقت، وتجلس في ساحة الغابة طوال اليوم. ثالثًا: الصيادون، وهم الشبان في مطلع العشرين، يصطادون الحيوانات ويجمعون الثمار، أما المهنة الرابعة هي مهنتك.. الزعيم. وحاليًا نتيجة لأمرك، أصبحت مستشارًا لك وأصبح هناك مهنة خامسة.

— ألا يوجد حداد أو طباخ أو عامل بناء؟ ألا يوجد أي مهنة أخرى؟

— الكل يستطيع الطبخ. قدر من الماء على النار



يوضع فيه ما أتى به الصيادون بعد تنظيفه.. الأمر بسيط.

— وتلك البيوت المتهدمة؟ وتلك الملابس البالية من صنعها؟

— لقد ورثناها عن الأجيال السابقة.

توقف عاصم عن المسير مع بداية الأشجار الكثيفة في الغابة، وبالتالي توقف «فايز». ووضع يده على كتف «فايز» قائلًا:

— اسمع يا عمر، بعد خمسة أيام سأتم الأربعة والعشرين عامًا. أرجوك حافظ عليهم، انقل لهم أي شيء قد يساعدهم على الحياة.. ساعدهم على النجاة، لقد أصبحنا مئتين فقط.

— أراك متقبل الموت بثبات.

— هذا ميعادي، ولا يتخلف أحد عن ميعاده.

— هل هناك شيء آخر يجب أن أعرفه؟

— بالطبع، الرقم السري لباب الكهف (36810)، احفظه ولا تكتبه على أي شيء.. إنه مكان مقدس، يجب ألا يدخله أحد سواك.

أومأ «فايز» مُتفهمًا، وقال بصوت منخفض:

— هل تريد قضاء آخر أيامك في شيء أفضل من



تلك الجولات معي؟

ابتسم عاصم بهدوء:

— تذكر أنني مستشارك حتى نهاية العمر.. هل تريد أي طلب؟

— نعم أريد.

•••

قضى «فايز» تلك الليلة في الساحة مع عاصم ليتعرف على أهل الغابة كلهم. وتبعًا لقدرتهم الجسدية قسمهم «فايز» إلى أقسام. فهناك الأطفال بعد العاشرة من الذكور والإناث، وهؤلاء سيكونون تلاميذًا له ليتعلموا الطبخ. وهناك الإناث من سن الثامنة عشرة سيتعلمن منه الكتابة والحروف، ويتبقى لهم من العمر ما يكفي لتعليم أطفال أهل الغابة لينشئ جيلًا متعلمًا ينقل العلم للجيل التالي. أما الشبان فسيعلمهم «فايز» شيئًا مهمًا للغاية لا يعلم كيف يعيشون من دونه.. كرة القدم.

ولقد كان مهووسًا بالقمر، لا تمر لحظات إلا ويتأكد من وجوده، الجميع لاحظ ذلك، وكلما مرّ الوقت، زاد هوسه بالقمر، وزاد تكرار النظر إليه.

بدأت الأيام الخمسة تنقضي، وبدأت الفتيات يتعلمن حروف الهجاء ولقد كن سريعات التعلم بحق. لم يكن للنحو

والصرف مكانًا فلا هو يتقنهما، ولا الغابة تحتاجهما. أما عن الطبخ، فقد استطاع «فايز» نقل خبراته للأطفال بسرعة، وشرح لهم في ضوء ما يصطادونه ما يستطيعون طبخه. وعلى الرغم من ضعف «فايز» في الحساب والهندسة، فإن المبادئ الأساسية كالضرب والقسمة وقواعد الهندسة الأساسية التي اكتشف معظمها الإغريق منذ آلاف السنين في عالمه، كانت علمًا ضخمًا يحتاجون وقتًا لهضمه.

أما عن البناء، فسخن الطين مازجًا إياه بالحشائش الجافة، ثم رصّه فوق بعضه البعض، وقد احتاج إلى بعض الطين اللدن لزيادة التماسك بينهم. وثق عاصم في «فايز» بشكل أكبر، فشرح له أن العديد من السفن الغارقة تصل بعض بضائعها إلى هنا، وكانوا يأكلون ما يمكن أكله والباقي يُترك. واكتشف في السفن القماش، والزجاج، والأسلحة. استخدم «فايز» القماش فقط، ولم يشرح له ماهية الأسلحة، ولم يستطع الاستفادة من الزجاج. وعلى الرغم من عدم إتقانه للحياكة، فإنه استطاع تعليمهم الحياكة بصورة بدائية نتج عنها ملابس مضحكة.

تغير شكل الغابة في أربعة أيام؛ فبعض المنازل نصف المتهدمة اكتملت، وبعض الصغار تجدهم يرتدون ملابس أخرى بدل البالية القديمة، الأكل تفوح رائحته من الساحة



كلما هبّ النسيم، والأطفال يجلسون في تأدب في حلقات حول البنات اللاتي تعلمن الكتابة.

وفي كل ليلة ينظر «فايز» إلى القمر في حزن وكأنه صورة حبيب قديم قد فارقه. أو لعله الشيء الوحيد المُشترك بين العالمين.

•••

جاءت الليلة الخامسة، والغابة قد وضعت قدمها على بداية الحضارة الإنسانية، في حين عاصم قد وضع قدمه على بداية اليوم الأخير. قد يموت في أي لحظة الآن. قضى «فايز» تلك الليلة في الساحة معه، والأطفال يتابعونهما من بعيد. بعد منتصف الليل بقليل، جاء الأطفال إليهما، ففهم عاصم ما يريدون. ودع «فايز» بقليل من الكلام، ورغم قِصر فترة تعارفهما فإن «فايز» شعر بثقل كبير ناتج عن مزيج من المسؤولية وغياب الصديق. غادر بعدها عاصم مع الأطفال المسؤولين عن دفنه إلى الغابة حيث سيموت ويدفنونه.

عاد «فايز» إلى جلسته مرة أخرى، وكعادته نظر إلى القمر الذي لم ينظر إليه ولو لمرة واحدة هذه الليلة. تفاجأ ممّا رأى، فالليلة غير مقمرة.. لقد غاب القمر أخيرًا. أسرع إلى الكهف مُمسكًا بشعلة وجدها على الحائط في الطريق،



دخل الكهف وقصد النقش الأخير الذي سيرفع عنهم اللعنة. ثبت الشعلة في أقرب مكان للغز، وأخرج الأسطوانة. لقد كان اللغز كلمات بسيطة بالنسبة لأي شخص يستطيع القراءة، لكنهم لم يستطيعوا.. نظر مرة أخرى إلى النقش:

«في ليلة يغيب عنها القمر

من يملك أمرها

يمكنه أن يجازف بالخطر

ويحاول فتحها

واحد

أحد عشر

سبعة

اثنان

أربعة

عشرة»

بساطة تم كتابة الرقم السري بالحروف، ومن يستطيع القراءة سيستطيع فتح الأسطوانة. ولكن الشرط الأساسي كان غياب القمر، والذي قد يدوم لفترة لا يعلم صاحبنا مدتها، فهو لم يقرأ في الفلك، ولم يهتم به طوال حياته.

أدخل «فايز» الستة أرقام في مكانهم المخصص في الأسطوانة، وأدارها ببساطة فانفتحت. وجد بها ورقة



صغيرة فيها كلمات قليلة:

«إنها الشيطان.. إنها الشر.

إنها النهاية.

لقد قتلت في الانفجار كل ما حولها من بشر وأشجار.

جعلتنا نتقاتل فيما بيننا، بعد أن أطاح بريقها بأذهاننا.

ما زالت في نفس المكان، تتحدى بخبثها كل إنسان.

من البحر بدأت غوايتها، وفي البحر ستكون نهايتها».

خرج «فايز» عدوًا إلى الساحة، والجميع يراقب الخالد وهو يخرج عن وقاره. بدأ بالحفر بيديه، ولما وجد التربة صلبة سأل عن أدوات الحفر، فأخبروه أنها مع الأطفال في انتظار موت عاصم. نادى فيهم أن يأتوا بالأدوات وبعاصم. تحرك الشبان بسرعة تليق بالصيادين، فهذا قرار الخالد، ومن المؤكد أنه ينطوي على حكمة كبيرة.

مرت دقائق من الترقب، وجميع أهل الغابة يقفون في دائرة مركزها «فايز» والنيران تتهادى من المشاعل في أيديهم. عاد الصيادون معهم الأدوات، يتبعهم عاصم عدوًا، وبعدهم بمسافة الأطفال. وقف عاصم في عدم فهم أمام «فايز»، وقبل أن يتحدث أحدهم بكلمة، فرد الأخير يده إلى الأعلى وهي مُمسكة بالأسطوانة المفتوحة. مرت لحظات استوعب فيها الناس معنى هذه الإشارة.



بدأ الأمر بهمهمات بسيطة، حتى علت وأصبحت تهليلًا وصياحًا. لقد تحققت النبوءة وفتح الخالد الأسطوانة وسيزيل عنهم اللعنة. أشار «فايز» إلى الأرض من تحته، فبدأ الجميع بالحفر بأيديهم وبفروع الشجر، وبأدوات الحفر. وعاصم الذي كان متماسكًا راضيًا بموته، أظهر طاقة غير عادية في الحفر.. لقد تجدد الأمل بالنسبة له.

لقد خاف «فايز» عليه من الأمل سابقًا، ولم يخبره بأن بإمكانه فتح الأسطوانة في ليلة غير مقمرة، لعلها لا تأتي في غضون خمسة أيام، ماذا سيكون حاله وقتها؟ لقد كان ثابتًا راضيًا لأن ميعاده قد حان.. فماذا إن أخبره أن ذلك الميعاد يمكن تأخيره، ثم لم يتأخر؟

استمر الحفر لساعة، وكلما اتسعت الحفرة، زاد تعب وخوف الناس وزاد ترقبهم لموت عاصم. كلما مرّ الوقت، استعاد «فايز» الرسالة في ذهنه. لقد اقتلعت الأشجار في الانفجار، والساحة المكان الوحيد بدون أشجار في الغابة كلها.. لا بد أنها هنا.

سمعوا جميعًا صوتًا معدنيًا نتيجة تصادم أداة الحفر بشيء مدفون، انقطعت الأصوات وتوقف الحفر. كان المنظر مهيبًا، حلقة من أهل الغابة كلهم بلا صوت أو حركة، الجميع في انتظار أن تُرفع اللعنة. تقدم «فايز» ونزل إلى



الحفرة، وبيده أخرج ذلك الشيء المعدني. وبعد تنظيفه وجده قرصًا ذهبيًا متألقًا قطره متر تقريبًا.. ثقيل ولكن يقدر «فايز» على حمله. وقف «فايز» في الحفرة ورفعه للأعلى.. انتظر التهليل والصراخ كالمرة الفائتة، ولكن بدلًا من ذلك رأى نظرة الشر في عيون الجميع، أطفال وبنات وشبان.. الكل ينظر إليه بحقد. ومن الخلف أتت ضربة بشيء معدني ثقيل على مؤخرة رأسه جعلته يسقط على الفور في الحفرة.. وقبل أن يفقد الوعي رأى عاصمًا مُمسكًا بأداة الحفر التي ضربه بها ويحاول خطف القرص من يده ضمن أيادٍ عديدة ممدودة ناحيته، وعيناه كأنما سيطر عليهما الجنون التام.

•••

* 8 *

— واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.

زفر بعدها بقوة واعتدل في جلسته على السرير:

— ليس مجددًا.

«إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات».

ظهرت لوحة المفاتيح أمامه، ظلّ منتظرًا لفترة طويلة في جلسته ثم كتب:

«العاشر من أكتوبر..»

ثم رفع يده مبتسمًا قائلًا:

«تعطيل البحث التلقائي».

«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»

«نعم» قالها بزهو، كأنه انتصر على ذلك الصوت.

«تم تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة».

ابتسم قليلًا قبل أن تتحول ابتسامته من ابتسامة زهو لابتسامة منكسرة، واستأنف:

«لا أظنني سأعيش إلى نهاية هذا العام، أو لا أريد. الليل بات عذابًا، والمُنوِّم لا يؤثر. الغضب الذي ينتج عن عجزي عن النوم لا ينتج عن شيء غيره. ألا تكفيني الوحدة؟ ألا أستطيع الهرب منها بساعات النوم؟ نصحني

الطبيب بالأقراص، والعد، والكتابة وتفريغ الأفكار.. وها أنا أخذت قرصين، وسئمت العد، وأحاول تفريغ أفكاري.

إذا وقعت في يدك تلك المذكرات ذات يوم، لا تحكم عليّ بأنني شخص غاضب أو عنيف.. فهذا دورها بالنسبة لي أن أخرج غضبي وعنفي فيها. الآن سأخرج بعض أفكاري المُسالمة لعلي أنام..

أعجبتني القصة الأخيرة، الصراحة أعجبتني الثلاث الأخيرة. شعرت كأنهن مكتوبات لي. الأولى شعرت فيها بالوحدة والحزن خاصة عندما انتحر أنس وأمه، وأخته أسرتها الوحوش.. والثانية شعرت فيها بالعجز، العجز البدني أمام حرس الملك الخائنين، والعجز عن تضميد جرح الملك، شعرت بالعجز في كل شيء. والثالثة شعرت باليأس.. يئست من النجاة وكتبت رسالة انتحار، ويئست من الرجوع وقبلت الحكم، ويئست من ظهور القمر وكدت أترك عاصمًا يموت، بل في نهايتها عندما رأيت الشر في عيونهم، يئست منهم. هذا أنا، خليطٌ من الوحدة والعجز واليأس.

القصص كلها جاء بها فيفتي، ولمّا أخبرني «عمار» أنه سافر دون أن يأخذ باقي نسبته عن القصة الثالثة شعرت بحزن شديد. ومن وقتها لم تأتِ إلينا قصص جديدة،

وكأن السوق كله مرتبط به. كذلك مؤلفو تلك القصص كانوا مثقفين للغاية، وعندما راسلتهم لنتناقش في نقاط القوة والضعف من وجهة نظر الشخصية الرئيسية التي قمت بتمثيلها، لم يطلبوا أسئلة إضافية بعد تعليقي.. من الواضح أنني قد عشت هذه القصص بالصورة الكافية.

لطالما هاجمتني الوحدة، ولطالما قاومتها، ولكن مع سقوط جداري الأخير وانقطاع القصص، أصبحت مكشوفًا لها طوال الوقت.

هناك برواز في المقهى مُعلق أمام المنصة بالضبط، دائمًا ما أراه انعكاسًا لي. فهو برواز عتيق، ذو طراز كلاسيكي. تعددت اللوح بداخله، من لوح طبيعية، إلى فنانين، إلى لوح مرسومة، ولم أُشعر إياها تليق به. يقف بشكله الكلاسيكي وسط ديكور مختلف، وبداخله لوحة لا تليق به.. غريب من الخارج، ووحيد من الداخل. ولا يلحظه أحد رغم وجوده منذ سنوات.. والأهم أنه قديم، أُوشك على الفناء. يتعجب «عمار» من اهتمامي به، والحفاظ عليه مستقيمًا كلما مال.. أرى في اعوجاجه اعوجاجي.. وفي ميله ميلي.. وفي سقوطه موتي.

أعلم أن كتاباتي مضطربة وغير مرتبة.. ولكنها نابعة عن أفكاري، وأفكاري دائمًا مضطربة وغير مرتبة.. هذا



اعتذاري للقارئ الذي قد لا يأتي أبدًا، والآن سأحاول النوم».

•••



وقف «فايز» كعادته خلف المنصة، ولقد كان شبه خالٍ. وكعادته في مثل هذه الظروف يقف ويتخيل قصص رواد المقهى الجالسين. ربما ذلك العجوز الأعمى قد دفع بجوهرتي عينيه لأنه عرف شيئًا لم ينبغِ له أن يعرفه. وذلك الفتى الأسمر الذي يأكل بنهم، قد تكون الحقيبة الموجودة على ظهره مليئة بالمتفجرات، وأنه يتناول وجبته الأخيرة قبل أن يقتل نفسه في عملية تفجيرية.

وذلك الكهل الذي دخل لأول مرة إلى المقهى، لا بد أنه ساكن جديد في المنطقة. تبدو هيئته عسكرية، وملامحه جامدة، ونظرته تجمع الصرامة مع الذكاء.. إنه ضابط جيش أو شرطة. هذا يُفسر قوته الجسمانية رغم أنه شارف الستين. شعره رمادي ناعم، لا بد أنه قد ورثه عن أبيه الثري. فالشعر الناعم لا يملكه إلا الأثرياء. لا بد أنه كان إقطاعيًا كبيرًا، والثورة حجزت على معظم أرضه، أم أنه تاجر سلاح واستغل ثورات وحروب المنطقة؟ أتراه تبع أباه في ذلك الطريق؟ فإذا كان تاجر سلاح، وذلك الفتى يحمل قنابل في حقيبته فلا بد أنها ليست صدفة.. وما سر رزمة الأوراق في يده؟ هل هي...

— إذا سمحت.

قالها الكهل ذو القوام الرياضي موجهًا كلامه إلى «فايز» قاطعًا اللعبة الدائرة في عقله. ابتسم «فايز» وهو يخبر نفسه بأن تاجر السلاح يريد أن يشرب شيئًا. أومأ «فايز» له بابتسامة دون أن يتحدث، ليتقدم الرجل نحو المنصة بضع خطوات:

— أسأل عن أستاذ «عمار سعيد».. هل هو موجود؟

أعجبته اللهجة الرصينة التي تحدث بها الرجل، فأشار إلى كرسي أمام المنصة:

— انتظر هنا لدقائق وسيأتي.. هل يمكنني مساعدتك؟

— لا.. سأنتظره فقط.

قالها الرجل وجلس، واضعًا رزمة الأوراق أمامه على المنصة. استمرت جلسته بضع دقائق لا يتحدث فيها، ولا يتحرك من جسمه شيء سوى عينيه اللتين جالتا في المكان، مصحوبتين بحركة بسيطة لرقبته للأعلى من وقت لآخر.. كأنه يعاين المكان. كانت هالة الغموض حوله مثيرة لـ«فايز». وبعد دقائق وصل «عمار» بخطواته الثابتة وابتسامته الواثقة. وقبل أن يتفوه بأي كلمة قد تجعل الرجل يكوّن انطباعًا عنه، قال «فايز»:

— أستاذ «عمار»، هناك من يريدك.



قالها بصوتٍ عالٍ ليجذب انتباه الاثنين.

— أهلًا أستاذ «عمار»، أنا أحمد بدوي.. مؤلف.

قالها مادًا يده ناحية «عمار» الذي ابتسم بود وسلّم عليه، بينما تهلل «فايز» طربًا، فهناك قصة.. هناك حياة أخرى تنتظره. تحدث «عمار» بعد الترحيب والمجاملات:

— هل تريد شرحًا لفكرة عمل الآلة؟

ابتسم أحمد في هدوء:

— اسمع.. إنني أعرف عن تلك الآلة أكثر منك. وقصصي قد تم تمثيلها على العديد من تلك الآلات. أنا أريد أمرًا مختلفًا.

لم يترك لهما فرصة التساؤل حيث استطرد:

— أريد منك أن تكمل قصتي. علمت أنك من برمجت معظم الآلات الموجودة في السوق، ولهذا أظنك تستطيع أن تفعل ذلك.

— هل تقصد أن القصة غير مكتملة؟

— هي كاملة منذ زمن، ولكني سأعطيك النسخة غير المكتملة منها. سيعيش ممثلك القصة حتى قبل نهايتها متبعًا ما كتبته من أحداث، ثم يكمل النهاية دون أن أكتبها.. أعلم أن ذلك سيعتمد بشكل كبير على شخصية ممثلك، لذا يجب أن تقرأ القصة بحرص وتعطيها



لأكثرهم شبهًا بالشخصية الرئيسية.. ثم سأعطيك نفس القصة غير المكتملة ولكن سيمثل ممثل آخر شخصية أخرى.

— أنا لا أفهم الغرض من ذلك؟ لماذا نتكبد هذا العناء ما دامت منتهية من الأساس؟

— لأنك ستقبض أربعة أضعاف المُعتاد في كل قصة، ومعي العديد.

— سأجرب وأرد عليك خلال أيام.

— ابتسم الرجل وانتصب تاركًا رزمة الأوراق على المنصة وغادر بدون كلام. ولأول مرة نجد «عمار» مغتمًا، بينما يكاد قلب «فايز» ينفجر من الفرح، فما يطلبه ذلك الرجل يعني مغامرات من نوع جديد تمامًا.

— متى ستبرمج القصة الأولى؟

— لا يمكن.. هل سنبرمج مكانًا لا نعرفه، وصوتًا وإضاءة لا نعرفها، وأنت ستتحدث بكلام لا تعرفه، لا يمكن.

هل سنرفض؟

قالها «فايز» بخوف حقيقي.

— لا يمكننا الرفض، فنحن لم نعمل منذ سفر فيفتي.

— إذن هل ستستطيع برمجتها؟



— السؤال الأهم هو هل ستستطيع تمثيلها؟ أقصد تمثيلهم؟

•••



* 10 *

القصة الأولى: شخصية الخبير

«الله أكبر.. الله أكبر

الله أكبر.. الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله..»

نظر بعين ناعسة إلى النافذة المغلقة، والتي تتحرك بفعل موجات الصوت. وقام من سريره بحركة بطيئة، فتح النافذة ومد يده إلى مكبر الصوت المُعلق على مئذنة المسجد والملتصقة في نافذته، وأدار فوهة المكبر إلى الناحية الأخرى. ثم نظر إلى ساعته ليجدها الرابعة فجرًا. فتح جهازه اللوحي، ونقر في بعض المناطق لتظهر الرسائل المُستقبلة في بريده الإلكتروني. أخذ يتنقل بين الرسائل في غير اهتمام حتى استحوذت واحدة منهن على انتباهه. أعاد قراءة الرسالة أكثر من مرة. ثم ترك جهازه وظهرت على وجهه علامات التركيز، وظل على حاله كأنه يفكر في حركة شطرنج لفترة زادت عن الساعتين.. ثم ابتسم.

قام وأخرج جهاز تسجيل صوتي من الكمود، وبعد توصيله بالجهاز اللوحي بدأ في الحديث:

«حسنًا.. لقد استقبلت رسالة جذبت انتباهي من أحد القراء. استمع إليّ يا عزيزي السائل، ما فهمته منك أن



الهدف موظف في شركة تأمين ضخمة، ولديه من المستندات ما يثبت عليك تهمة التلاعب. ذلك الورق موجود في منزله، وكما أخبرتني فإن منزله مُحاط بأجهزة إنذار لا يقدر على تعطيلها رجالك. وحتى بعد مغادرته المنزل، يظل جهاز الإنذار متصلًا بهاتفه.. ولو حاولت الاقتحام ستصله رسالة وتجد الشرطة عندك في دقائق. وأي محاولة لاستخدام القوة معه، ستثير الشكوك نحوك بسبب الشائعات حول امتلاكه تلك الأوراق.

ذلك أمرٌ بسيط، ورأيي أن تتصرف كالنحو التالي؛ ستستأجر مصمم مواقع ليبني لك تصميمًا لموقع شركة تأمين أجنبية، لتكن في فرنسا نظرًا لتقارب قوانين التأمين بيننا. وتطلب من شخص يجيد الفرنسية أن يكتب لك محتوى الموقع، وكذلك ملف تعريفي للشركة، وبهذا سيكون عندك شركة تأمين فرنسية.

ستجعل شخصًا فرنسيًا أو مصريًا حتى إذا أردت أن يتصل به من رقم فرنسي بالطبع، ويعرض عليه وظيفة خيالية في شركتك. قد تحتاج لعمل مقابلة في مصر إذا أردت أن ترفع مستوى الحبكة. الهدف من هذا كله هو دخوله الطيارة فقط.. فبدخوله الطائرة ستنقطع



الإشارة عن هذا الهاتف لفترة تكفيك لسرقة الملفات دون أن يستقبل الرسالة، وبعدما يفتح الهاتف ويقرأ الرسالة ويبلغ الشرطة، لن تجد الشرطة سوى صوت جهاز الإنذار.

هناك طرق أسهل بالطبع، ولكني أفضّل الطرق الطويلة المضمونة. فهو بالطبع لن يترك هاتفه إلى شخص آخر في مصر، وكذلك العرض في شركة ضخمة بالنسبة له سيكون نقلة تجعل تفكيره مشغولًا بما سيفعل في يوم المقابلة، ولماذا وقع الاختيار عليه.. وينساك وينسى أوراقك.

مع تحياتي.. الخبير».

استمع للتسجيل مرة ليتأكد كالعادة من أن الصوت تم تغييره قبل أن يرسله إلى صاحب البريد، ثم فتح مدونته الخاصة والتي اكتسبت صيتًا في الفترة الأخيرة لما تقدمه من جرائم قديمة محلولة وأوجه العبقرية فيها، وحلول لجرائم في مصر عجزت عنها الشرطة، وطرق لتنفيذ جرائم أخرى، وقام بمشاركة التسجيل الصوتي عليها.

ولقد اشتهرت مدونة الخبير في صفوف المجرمين والشرطة والمهتمين بالجرائم والحبكات البوليسية. فالأول يريد الاستفادة أو النصيحة، والثاني يريد أن يكتشف حل



قضية قديمة أو استباق قضية قد تحدث، والثالث يستمتع بما يقرأ من حبكات غير مهتم إذا كانت جرائم حقيقية أم مجرد شطحات خيال.

كتب صاحبنا على المدونة أقصر تدوينة منذ أن افتتحها منذ عامين، حيث كتب:

«الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصل ودلالة، وخالية من الحافز والمشاعر، وتظهر كاللوحة أو المقطوعة.. الجريمة الأفضل هي التي لا تؤذي إلا المؤذيين.. ترقبوا الجريمة الكاملة».

•••

لاحقًا في نفس اليوم..

وقف «فايز» ضمن العشرات المتجمهرين في حلقة واسعة حول شيء ما لم يتبينه «فايز» من مجموعة الضباط الواقفين أمامها. التفت من بينهم ضابط في أواخر عقده الرابع، طويل القامة، رياضي الجسم ذو شعر أسود ناعم، وعينين ضيقتين مسيطرتين. عرف «فايز» ما لم يره، فهو من وضع خطته.. لكنه أراد أن يتحقق من الشكل النهائي للتحفة الفنية.

أشار الضابط إلى ذلك التجمهر فتحركت العساكر في دفع المواطنين دفعًا إلى الخلف. سأل «فايز» شخصًا لا يعرفه:



— ماذا حدث؟

— وجدوا رأسًا بدون جسد هناك.

قالها مُشيرًا إلى المنطقة التي غادروها منذ قليل، بينما تصنع «فايز» الدهشة:

— هل هذا معقول؟

— لقد جاءت في وضح النهار سيارة نقل هبط منها أربعة رجال ووضعوا قاعدة تمثال رخامية، وعليها تمثال لرأس إنسان. توقعنا أنها سيارة تابعة للمحافظة، وأن هذا التمثال نصب تذكاري. لكن بعض الأشقياء من أطفال المنطقة عندما لمسوا التمثال -بعد مغادرة السيارة بالطبع- وجدوا التمثال طريًا، وسقطت القشرة الخارجية لتظهر جمجمة إنسان حقيقية.

— لا حول ولا قوة إلا بالله.

قالها الخبير بتأثر، وافترقا. ذهب الخبير بخطى واثقة نحو المقهى المقابل للجريمة، والذي غادره رواده ليكونوا بقرب الحدث. جلس في مواجهة الضابط الذي بدا منشغلًا بفحص الجمجمة والحديث مع الضابط الشاب إلى جواره. تلاقت أعين الضابط والخبير أكثر من مرة، وقد جذب انتباه الضابط ذلك الشخص الهادئ الجالس وسط العاصفة، جذبت ابتسامته انتباهه، ولكن بما لا يكفي



لمتابعته وسط هذه الأحداث. أخرج الخبير هاتفه وأرسل رسالة محفوظة مُسبقًا، رن هاتف الضابط برسالة ولكنه لم يهتم. وعندما تلاقت العيون مرة أخرى، كان الخبير يجلس في هدوء مبتسمًا مُشيرًا للضابط بالهاتف.. وعلى أثرها فتح الضابط الرسالة السابقة ولم يكمل قراءتها ليرفع رأسه حيث الخبير.. أو حيث كان الخبير، لقد اختفى!

•••

القصة الأولى: شخصية الضابط

وقف «فايز» بجسده القوي وسلاحه المثبت إلى جانبه وملامحه الوسيمة رغم اقترابه من الخمسين في مكتبه. وإذا بالباب يُفتح ويدخل شاب بخطوات سريعة في يده جهاز لوحي يناوله إليه قائلًا:

— لقد نشر الخبير تدوينة أخرى.

دون تحدث أمسك بالجهاز بتلهف ثم نقر الشاشة نقرة واحدة فسمع تسجيلًا صوتيًا للخبير يتحدث بصوت يشبه صوت شخصية بطوط الكرتونية. ولقد وصف الخبير كيف سيوهم موظف في شركة تأمين بأن لديه مقابلة عمل في فرنسا، ليضطره إلى الصعود إلى طائرة وبالتالي ستُقطع الإشارة عن الهاتف. بدا الأمر طفوليًا أكثر من اللازم.. هناك طرق أسهل وأسرع وأقل تكلفة، وفوق هذا تحفظ لصاحب الأوراق كرامته بدلًا من سؤال الخبير، واضطراره للجلوس مجلس التلميذ من المعلم أمامه. ابتسم «فايز» لاستنتاجه ثم قال:

— حسنًا.. الآن تأكدنا أن هذا الموقع غير حقيقي، وهذه الأسئلة من تأليف صاحب الموقع لزيادة التفاعل. هل رأيت مجرمًا من قبل يتحدث بصوت بطوط؟ وهذه الخطة الغبية التي ستضطره لرسم تمثيلية كاملة، وإذا



أخطأ في أي تفصيلة صغيرة سيهدم كل شيء.

— ولكن هناك جرائم حدثت بالفعل كما وصف.

قالها محمود عادل في تردد يليق بحداثة سنه ورتبته، ليرمقه «فايز» معقبًا:

— صدفة يا محمود، فكر قبل أن..

جاء الإنقاذ لمحمود في صوت من الجهاز مُعلنًا أن الخبير قد نشر تدوينة أخرى. ناول «فايز» الجهاز إلى محمود الذي فتح التدوينة بسرعة وعرضها عليه:

«الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصل ودلالة، وخالية من الحافز والمشاعر، وتظهر كاللوحة أو المقطوعة.. الجريمة الأفضل هي التي لا تؤذي إلا المؤذيين.. ترقبوا الجريمة الكاملة».

أعاد «فايز» قراءتها عدة مرات ونظر إلى محمود الذى بدا كأنه يقاوم لسانه الذي يريد أن يُعقب:

— هات ما عندك.

— يا فندم هذه الفرصة هي الوحيدة التي ستؤكد إذا كان الخبير مجرد أكذوبة أو حقيقة. ما علينا سوى الانتظار.

— ستحدث.

قالها «فايز» وأخرج لفافة تبغ ملفوفة يدويًا، واستأنف



وهو يبحث عن القداحة على المكتب:

— ما نعلمه عن الخبير أنه ذكي، تلك الأفكار والقضايا غير المحلولة والتي استطاع حلها، بالإضافة إلى إخفاء أثره بشكل كامل رغم محاولاتنا لتتبع مكانه. من غير المعقول أن يُهدد مصداقيته أمام متابعيه... ستحدث حادثة مهمة قريبًا، وأريدك معي.

— إذن هل تظن أنه حقيقي؟

— وهل قلت أنه شبح؟

قالها وأشعل لفافته:

— إنه حقيقي، ولكن هل ما يفعله حقيقي؟ عندما تحدث تلك الجريمة الكاملة سنتأكد أنه واحدٌ من اثنين؛ إما مجرم ويساعد المجرمين، أو شخص لديه وسيلة لمعرفة ما سيفعله المجرمون سواء باختراق وسائل اتصالاتهم أو باختراق منظماتهم.

أومأ محمود موافقًا -عن اقتناع هذه المرة- وأخذ يتصفح التدوينات السابقة للخبير محاولًا الربط بينها بسذاجة.

لم يذهب «فايز» للمنزل في ذلك اليوم، وبالتبعية لم يغادر محمود أيضًا. قضى «فايز» الساعات التالية في قراءة كتابٍ آخر يحكي عن الأساطير اليونانية. هو قارئ نهم للأدب خاصةً الروايات ذات طابع الجريمة والغموض،



ولكن بالإشارة إلى آلهة الإغريق في أكثر من رواية قرّر أن يقرأ عنهم أكثر، وها هو يقرأ كتابًا آخر يصف العلاقات المتشعبة بينهم، والأساطير المروية عنهم.

•••

لاحقًا في نفس اليوم..

دخل محمود لاهثًا إلى المكتب قائلًا:

— كما توقعت حضرتك.. الجريمة حدثت.

لم يُتم جملته، وقد انتفض «فايز» من مقعده. تحركا بخطواتٍ واسعة حتى ركبا سيارة الشرطة، وانتقلا إلى مكان الحادث. وصلا خلال دقائق لقرب المسافة. وبعد أن ترجلا من السيارة، شقت العساكر لهما طريقًا بين الحشد. تفاجأ «فايز» ممّا رأى، حيث وجد جمجمة غير متساوية الحجم كأنها كُسرت وهذه محاولة لترميمها. تكونت من ثلاثة أجزاء تم لصقهم بعناية، وعليها باقي الطين الذي كوّن وجه التمثال. وضع كل ما سبق على قاعدة رخامية سوداء كأنها نصب تذكاري لشخصية هامة، ونُحت عليها: **«إلى الأبطال.. إلى من ماتوا ليعيش الآخرون».**

رغم المفاجأة واللغز لم يهتز «فايز»، وإنما مال على محمود قائلًا:

— أي شخص يحمل كاميرا أو هاتف يحاول



التصوير، اقبض عليه.

نظر محمود إلى الحشد الذي قد رفع معظمه كاميرات الهواتف ملتقطًا صورًا لهذه الحادثة، ثم رجع بعينيه إلى «فايز» مرة أخرى، ليجيبه «فايز»:

— سيتفاخر الخبير بهذه التحفة، إنه شخص ممن يصورون.

— كلهم يصورون.. لن يمكننا.

أشار على إثرها «فايز» إلى الحشد مُنبهًا العساكر الذين بدأوا بدفع تلك الجماهير للخلف.

— الآن، اقبض على من يصر على التصوير.

التفت بعدها ناظرًا إلى العمارات المُحيطة ليرى إذا كان هناك من يقف بالأعلى يحاول التصوير، لكنه وجد العديدين يطلون من كل الشقق وأسطح العمارات. دار بنظره بعدها على واجهة المحلات القريبة ليرى إذا ما كانت هناك كاميرا تصوير في أحدهم قد التقطت صورًا لتلك السيارة أو الرجال وهم يضعون التمثال. لكن لم يجد سوى عربة كبدة تقف بجوار ذلك المقهى الفارغ تقريبًا إلا من رجل قد جذب انتباهه. فذلك الرجل في مطلع الخمسينات ظل مبتسمًا له رغم هول الموقف، والأصوات المتعالية في الشارع، وحالة الذعر التي سيطرت على الجميع. بالطبع لم

يولِه «فايز» انتباهًا في البداية، ولكن مع ثبات نظرته عليه شعر في داخله أنه يعرفه وينتظر أن يتذكره «فايز»، ولأنه لا يثق في ذاكرته بما يكفي، غلب عليه هذا الظن.. ولكنه تجاهله، فالوقت لا يسمح وهذه قد تكون الفرصة الوحيدة للقبض على الخبير.

بعد قليل رنّ هاتف «فايز» بنغمة الرسائل، علم على الفور أنه قد تأخر على ميعاده مع زوجته وأنها صاحبة الرسالة. زاد الضغط بتذكره لذلك الميعاد، وظل على حاله من النظر إلى الجميع في الشارع والمنازل، حتى التقت عينه برجل المقهى مرة أخرى والذي أشار بابتسامة إلى «فايز» بالهاتف، في إشارة بأن يفتح الرسالة.

تفاجأ الأخير وفتح الرسالة ليجدها:

«هذه ليست الجريمة.. إنها..»

لم يُكمل الرسالة ورفع رأسه نحو كرسي الرجل في المقهى، ولكنه قد اختفى.

•••

* 11 *

«الثاني عشر من يناير..

أعلم جيدًا أنني لن أتمكن من النوم هذه الليلة، فأحداث اليومين الماضيين لن تسمح لعقلي بأن يكف عن الأسئلة. لقد دخل علينا ذلك المؤلف أحمد بدوي، وطلب من «عمار» أغرب طلب قد يطلبه مؤلف، وهو أن تُكمل قصته. قبلنا الأمر ظنًا مِنا أنها إحدى القصص الرومانسية التي سنتوقع نهايتها، وبالتالي نُبلغه بها كأننا استطعنا برمجة الجزء المجهول منها -وهو ما أكد «عمار» استحالته- ولكن وجدنا القصة متشعبة وصعبة.

إذا قرأ أحد تلك المذكرات؛ قد يظن أنه أمر تافه، ولكن الأمر صعب فعلًا. فبغض النظر عن متعة التحدي والأنس المُهدد بالضياع، فإننا لم تأتِنا قصة واحدة منذ فترة وهذا الأمر يُهدد «عمار» ماديًا بصورة كبيرة.

أعلم ما سيحدث غدًا.. سيأتي المؤلف ويسألنا سؤالًا موجزًا قد يكون عن باقي محتوى الرسالة مثلًا. سنجيبه بأن القصة غير كافية، وأن ما جاء مجرد تمهيد لا يكفي لتوقع القادم. كذلك هناك العديد من النهايات التي قد تصلح لهذه القصة، ولكنه لن يرضى بهذه الإجابة وسيبتسم مغادرًا، ولن يعرض علينا قصصًا في



المستقبل.

أعلم أنك لم تقرأ القصة ولا تعلم عن الضابط شيئًا، أو عن الخبير الذي ينصح الناس بالجرائم كأنه «مورياتي» عدو «شيرلوك هولمز» الشهير..»

توقفت شاشة الكتابة لنسمع الصوت الذي جعله يستشيط غضبًا ملوحًا بيده قاطعًا الشاشة الضوئية أمامه:

«هل ترغب في البحث عن الخبير مورياتي؟»

همّ أن يُعطل تلك الخاصية، ولكنه توقف لحظة قبل أن يرد بترقب وكأنه يخاف من الإجابة: «كم نتيجة باسم الخبير مورياتي؟»

«ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاث نتائج. هل تريد البحث عن الخبير أو مورياتي منفصلين؟»

«كم مدونة تظهر باسم الخبير؟»

«مائة واثنين. هل تريد البحث بأكثر المنشورات شعبية على تلك المواقع؟»

انتظر طويلًا بترقب، قبل أن يتحدث ببطء:

«الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصالة ودلالة».

«هل تقصد: الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصل ودلالة؟»

اتسعت عيناه، هل المدونة حقيقية؟ هل القصة حقيقية؟ ولماذا يريد نهايتها؟ وإن كانت حقيقية، لماذا لم يتكلف عناء تغيير اسم الخبير؟ ظل على وضعه، نصف راقد ونصف جالس، ويده اليمنى مقبوضة ويطرق بطرفها على فمه.

«هل تقصد: الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصل ودلالة؟»

كررها الصوت ليرد بسرعة: «نعم، فتح الموقع».

تحولت شاشة الكتابة إلى شاشة جانبية صغيرة هائمة ببطء فوق الشاشة الأصلية، والتي انفتحت على موقع الخبير. الموقع يبدو مشابهًا لما رآه في القصة بعين الضابط؛ نفس الألوان والخط. لا بد أن المؤلف قد بذل وقتًا في وصفها لتظهر بذلك الشكل. أخذ بالتصفح بسرعة، إنه موقع قديم منذ أكثر من ستة أعوام، ولكن ها هو التسجيل الذي رآه في القصة، وها هي تدوينة «الجريمة الأفضل». أخذ في تصفح التدوينات التالية، ورفع يده عن الشاشة مرة أخرى ليعالج تلك المعلومات.

تحدّث بصوت خفيض:

— تلك القصة حقيقية، هذا أمر مفروغ منه. ولكن هناك حلقة مفقودة. إذا كانت تلك الجريمة حدثت



بالفعل منذ سنوات، لماذا يسألني المؤلف عن نهايتها؟ فالكل يعرف نهايتها، وبقليل من البحث سنصل إليها. هل يُريد ذلك كاختبار لقصص أخرى غير معروفة؟ يجب أن أشرك «عمار» معي في ذلك الأمر.. يجب أن نقرأ القصة مرة أخرى بعد معرفة أنها قصة حقيقية.. يجب أن أفهم غرضه من ذلك.

ابتسم بعدها لأنه أدرك أن هناك أسابيع ستضيع في تلك الرحلة، هناك مغامرة ستهزم الوحدة ولو لفترة.

«ما تقييمك لخاصية البحث التلقائي؟»

رد بهدوء لا يتفق مع حديثه:

«هل تريد معرفة رأيي؟ خاصية شريرة، اجتمع فيها الغباء والحقارة مع عدم التقدير والمبالغة وخسة الـ..»

قاطعه الصوت بطريقة بدت له مستفزة: **«هل تقصد خمسة؟»**

صاح بعنف، ليرد ذات الصوت:

«تم التقييم بخمسة نجوم، شكرًا لك».

•••



* 12 *

جلس «فايز» في المقهى أمام المنصة وقد أضاء المصباح المُعلق فوقها فقط، بينما غمر الظلام بقية المقهى. رغم تعوده عليه، وحفظه لأماكن الطاولات والكراسي فإن ظهورها ككيانات غير محددة في الظلام قد أثار في نفسه التوتّر حتى إنه أجفل عندما فُتح الباب ليرى «عمار» يدفعه.

— ماذا حدث؟

قالها «عمار» بعد أن فتح الباب مباشرة، وقبل أن يدخل دائرة الضوء تحت المنصة.

— هل قرأت قصة أستاذ أحمد بدوي؟

— بالطبع لقد برمجتها.. ماذا حدث؟ ولماذا تبدو مضطربًا؟

سحب «فايز» كرسيًا لـ«عمار» أمامه في جدية قائلًا:

— اجلس.

— ماذا حدث في الدنيا يجعلنا نتقابل فجرًا كتجار المخدرات؟

على غير عادة «عمار»، فلقد كان متوتّرًا هذه المرة بالفعل.

— حسنًا.. اسمعني جيدًا، لا تقاطعني لأن الموضوع سيبدو تافهًا في البداية.



أومأ «عمار» في صمت.

— أحمد بدوي ليس بمؤلف، وإنما..

— هل تقصد أن القصة مسروقة؟ فهمت، لهذا لا يعرف نهايتها ويريد أن..

— قلت لك ألّا تقاطعني.

قالها بحزم جعل «عمار» يبلع الباقي من الكلام.

— سأعيدها مرة أخرى: أحمد بدوي ليس مؤلفًا وإنما ضابط مباحث.

همّ أن يقاطعه مجددًا، ولكن نظرة «فايز» منعته.

— قصة الخبير حقيقية، أو على الأقل جزء منها. القصة التي مثلتها يعلم نهايتها جيدًا، ولكنه يريد أن يسمع منّا ما نقول كي يرى مدى تطابق الأحداث التي يمكن للآلة أن تتوقعها مع الأحداث الحقيقية، دورنا الآن أن..

— اسمع يا «فايز»، ليس لنا دور في كل هذا. نحن لا نتعامل مع الحكومة، نحن نحتاج إلى المال ولكن ليس بتلك الدرجة، الآلة غير مرخصة ويمكن أن تؤخذ مِنّا تحت ألف مُسمى مختلف. أنت لا تعرف كم مخالفة نرتكبها كلما ضغطنا على زر التشغيل.

— الآلة ملكك، والقرار قرارك بالكامل، ولكني أريد أن



أعرف ماذا يريد.. أريد أن أعرف نهاية القصة فقط.

— فأتيت بي فجرًا كي تخبرني أنك تريد أن تعرف النهاية.

عمّ الصمت للحظات قبل أن يستطرد:

— أعلم أن تلك القصص ليست مصدر دخلك فقط، بل تنتصر بها على وحدتك كما تردد دائمًا.. لهذا جعلتك الممثل من البداية، ولكن دخول ضابط علينا مدعيًا أنه شخص آخر يعطيني الحق بأن أخاف. سنجلس معه اليوم وسنخبره بأننا لم ننجح فيما طلب، وبالتالي تنتهي العلاقة معه، أو نخبره حتى بأن الآلة مُعطلة.

— أو تتركني أتحدث معه، قد أخرج منه بأربعة أضعاف المبلغ المُعتاد.. وكذلك بغرضه من ذلك الطلب.

سكت «عمار» للحظات، ثم رد:

— سأتركك معه لدقائق ثم سأنهي ذلك الجنون.

ابتسم «فايز» في رضا، بينما نظر «عمار» إلى الأكواب والزجاجات في الخلف، وقام ليشرب ما تقع عليه يده.

•••

مرّ ذلك اليوم ثقيلًا على «فايز»، فقد بدأ اليوم من الفجر منتظرًا ذلك الضيف. لا يعلم ما يُحركه، ولا سبب ذلك التوتر من فقدانه. فهو لا يحتاج المال كـ«عمار»، وحتى



القصة نفسها غير منتهية وهو لن يتحمل ذلك السخف كثيرًا. أما «عمار» الذي قلّ دخله بشكل كبير مع ندرة القصص، أصبح على مشارف أزمةٍ مالية. انتظر «فايز» طويلًا، و«عمار» موجود طوال اليوم في المقهى على غير العادة.

أخيرًا دفع أحمد بدوي ذلك الباب ليدخل بابتسامته الهادئة، وطوله الفارع، وشعره الرمادي، وخطواته الواثقة. ابتسم لهما على الفور، واقترب بخطوات بطيئة كأنه يتعمد زيادة التوتّر:

— أهلًا يا أستاذ «فايز».. أهلًا يا أستاذ «عمار».

— أهلًا.

قالها الاثنان في نفس الوقت تقريبًا. أشار «عمار» إلى كرسي أمام المنصة ليشكره أحمد ويسحبه ليجلس في مقابلة «فايز» لا يفصل بينهما سوى المنصة.

— هل تحتاج أي شيء يا عم «فايز»؟ هل تأمرني بأي شيء يا أستاذ أحمد؟ سأعود بعد لحظات.. «فايز» هنا هو من مثّل قصة حضرتك.

لم يعلم «فايز» سبب فرحه بمقابلة أحمد، ولكن الابتسامة ارتسمت على وجهه تلقائيًا. قد تكون ابتسامة نصر، فهو لم يستطع خداعه بأنه مؤلف، وأن تخمينه عندما رآه لأول



مرة بأنه رجل شرطة أو رجل عسكري كان صحيحًا.. أو ابتسامة غرور تقول «إني أعلم ما تظن أنني لا أعلمه».

تحدث أحمد أخيرًا ليقطع الأفكار:

— أنت تعلم، أليس كذلك؟

— أعلم ماذا؟

تفاجأ من الوسيط الروحي الذي يقرأ الأفكار أمامه.

— تعلم أنني ضابط مباحث.. أنت أذكى من «عمار»، ولكي يصل «عمار» لهذه النتيجة فلا بد أنك قد وصلت إليها قبله.

— ماذا تـ..

— سأل «عمار» قبل أن يغادر مستخدمًا لفظ «تأمرني»، وبعدها قال «قصة حضرتك».. في حين عندما تقابلنا لأول مرة تحدث بصورة أقل رسمية، ولم يستخدم حضرتك، وقال «هل تريد».. الرسمية تقل بعدد المقابلات وليس العكس.

كان يتحدث بتلقائية وهدوء وكأن الأمر بديهي، وقبل أن يرد «فايز» ضحك أحمد ليستطرد:

— ثم ابتسامتك منذ قليل.. وجهك كتاب مفتوح يا أستاذ «فايز».

— أظن أن إجابة سؤالك الآن إذا كنت أعلم أو لا



أعلم ليس لها قيمة.

— ضحك أحمد قليلًا قبل أن يقول:

— هذا لم يكن اللغز يا أستاذ «فايز» كي تبتسم عندما تحله، اللغز الحقيقي هو أن تستكمل الرسالة.

حاول الهرب من الجملة الأخيرة بأن سار بضع خطوات خلف المنصة، وعاد بكأسٍ مملوءة وضعها أمام أحمد.

— هل استطعتما برمجة وتمثيل القصة؟

— لا.. من المستحيل برمجة ما لا نعرفه. فنحن لن نخلق أحداثًا وشخصياتٍ ومناظر من خيالنا.

— إذن لقد انتهى عملي هنا.. سأشرب هذه الكأس وأغادر.

ابتسم «فايز» ولم يُعقب، في حين أن قلبه يُعتصر الآن ليعرف غرضه ونهاية القصة.

— كيف استنتجت بأني الضابط في القصة؟

تفاجأ «فايز»، فاستطرد أحمد:

— لم تكن تعلم أنني الضابط في القصة؟

ضحك قائلًا:

— لا بد أن أنهي هذه الكأس سريعًا قبل أن أخبرك بكل شيء. كيف علمت أنني ضابط إذن؟

قال الجملة الأخيرة بجدية. فكر «فايز» للحظات بأن



يخبره بخاصية البحث التلقائي، ومدونة الخبير واسمه الموجود في الأخبار. ولكن كأنه قد أبى أن ينسب الفضل لتلك الخاصية:

— كان الأمر واضحًا بشدة. فكل الأحداث تدور حول الضابط، فالمؤلف يعلم كيف يُفكر الضابط، ومشاعره تجاه محمود.. حتى إنه يعلم ما هي الأوامر التي قالها لمحمود عندما وجدا الجمجمة. في حين عند التحدث من وجهة نظر الخبير، فإن المؤلف قد ركّز الأحداث على الضابط مرة أخرى، لا يوجد معلومة شخصية واحدة عنه سوى وصف بيته.

خمنت أنك صديق للضابط، ولكن لم أخمن أنك هو.

تعجب «فايز» من نفسه وتلقائيته في الكذب. فكل ما قاله هو كذبة مرتجلة، ولكن يبدو أنها لاقت إعجاب أحمد.

— عندما قابلتك أول مرة عرفت أنك شخص ذكي، ولكنك أثبتّ الآن أنك أكثر ذكاءً مما أتخيل.. يؤسفني ألا نعمل معًا في تلك القصص.

— ما هدفك من تلك القصص؟

قالها باندفاع غير محسوب، فنظر له أحمد قليلًا قبل أن يرد:

— أحتفظ بذلك لنفسي.



— ما نهاية الرسالة؟

— يجب أن تعلمها وحدك كي نستمر في تمثيل القصص.

كانت وتيرة الكلام سريعة، والرد بدون تفكير وكأنه سباق. نظر أحمد إلى كأسه:

— ها قد انتهى العصير، سأغادر الآن.

قالها، وغادر كرسيه موليًا ظهره لـ«فايز».

— لم يكن القاتل.

توقف أحمد عن المسير، فشعر «فايز» بأنه قد ضرب وترًا مهمًا، فاستطرد:

— الخبير لم يقم بهذه الجريمة.

التفت إليه أحمد بخطوات سريعة، وسند قبضتيه إلى المنصة ومال بجذعه عليه حتى أصبح وجهه بمواجهة وجه «فايز»:

— كيف عرفت ذلك؟ هذه المعلومات غير مُتاحة على الإنترنت أو الجرائد.. هذه المعلومة لا يعرفها غيري.

لم يستطع «فايز» الرد، وتلعثم قبل أن يرد:

— لقد بحثت عن مدونة الخبير، وتعمقت في كل الجرائم التي ألفها والجرائم التي نصح بها الناس، وكذلك الجرائم التي حلها للشرطة. لقد ساعد المتهربين



من الضرائب، وساعد النصابين، وساعد المزورين، لكنه لم يساعد القتلة قط.. لا أظنه قاتلًا.

— الخبير لم يقم بتلك الجريمة، لكنه مجرم.

قال الجملة الأخيرة متحكمًا في صوته ليخرج بنبرة عادية، لكن عينيه عكستا شرًا وغضبًا يعتملان في صدره. دخل «عمار» المقهى ليجد «فايز» خلف المنصة، وأحمد أمامه لا يفصل بين وجهيهما سوى بضعة سنتيمترات، ونظرة أحمد المتقدة زادت من توتره:

— أرى أنكما أصبحتما صديقين.

لم يعلم السبب، لكنه ألقى تلك الدعابة رغمًا عنه. نظر أحمد إليه مبتسمًا:

— أستاذ «فايز» ذكي للغاية، استطاع معرفة كل شيء تقريبًا. ستصلكما الدفعة السابقة مع باقي القصة.. وكالعادة سأدفع أربعة أضعاف.

— لا أظن «فايز» قد شرح لك الموضوع كاملًا، لا يمكننا برمجة ما نجهله.. قد تكون مصادفة لا أكثر.

قالها «عمار» باضطراب ناقلًا نظره بين «فايز» وأحمد طوال الكلام:

— عندما تقابلنا أول مرة أخبرتك أنني أعرف عن هذه الآلة أكثر منك، أعرف ما يمكنها أن تفعل وألا تفعل. لقد



تركت جزءًا مكشوفًا من القصة مثل اسمي واسم المجرم.. كل من مثّل هذه القصة لم يستطع تخمين نصف ما تعرفان، أنا لا أريد ساحرًا يبرمج لي ما لا يمكن برمجته، بل أريد ممثلًا يمكنه أن يتقمص روح الخبير من المواقف الماضية ليخبرني كيف سيتصرف في المواقف الآتية.

وكأن «عمار» تذكر الآن أن أحمد ضابط شرطة سابق على الأقل:

— نسيت أن أخبرك بأن الآلة قد تعطلت، حتى إنني قد أُصبت بهذه الندبة وأنا أحاول تصليحها.. لكن لا فائدة.

قالها وقد فرد قبضته لتظهر الندبة التي تتوسط كف يده.

ضحك «فايز» رغمًا عنه، وابتسم أحمد ناظرًا لـ«فايز»:

— أتوقع أنكما بالذكاء الكافي لتصليحها.

•••



* 13 *

- واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. واحد..

«إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات»

«تعطيل البحث التلقائي».

«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»

«نعم»

«تم التعطيل التلقائي لهذه الجلسة»

«الأول من فبراير..

علمت أنني لن أستطيع النوم الليلة، لم أحاول حتى بالقدر الكافي.. حتى بعد هذه الكتابة لن أتمكن من النوم إلا بقرصي مُنوِّم. أتمنى أن أموت قبل اليوم الذي يخذلني فيه المُنوِّم ويصبح بلا تأثير.

شعرت من قبل بأني سأموت قبل نهاية العام، ولكن ها أنا في مطلع الشهر الثاني من العام الجديد وما زلت حيًا.

تمرّ الأيام ببطء شديد وكأنها تتوقف كلما أزحت عيني عن الساعة، ولكن الزمن يمرّ بسرعة غريبة. لا لست متناقضًا.. فاليوم طويل، طويل للغاية تعتصرني فيه الوحدة والذكريات والآمال، كيف يتسع لكل هذا إلى جانب قضائي لفترة طويلة في المقهى أو في تمثيل



القصص إذا لم يكن اليوم طويلًا؟

أما عن الزمن، فالزمن سريع جدًا.. لقد تركت حساب عدد سنوات عمري لمن سيدفنني ليقول «ومات عن عمر يناهز...» أما بالنسبة لي، فإن هناك سنوات كثيرة في عمري مرت دون أن أتذكر كيف ضاعت، وسنوات أخرى أتذكرها ولا أعرف كيف أتذكر كل هذه التفاصيل.

كلما تذكرت، أحسست بالألم.. ليس ألم فراق الأحبة، ولا ألم الوحدة الحالية بل ألم آخر لم يذكره أحدهم في الكتب حتى الآن؛ ألم التحول.

كلما تذكرت كيف كنت مندفعًا في كل شيء.. أحببت باندفاع، اعترفت باندفاع، قاتلت باندفاع، وفارقت باندفاع. كلما تذكرت الأنس والأصدقاء والعائلة والحبيبة والكتب. كلما تذكرت ذلك وقارنته بما أنا عليه اليوم أشعر بذلك الألم، ألم حصان في البرية تعود على العدو في أي اتجاه يريده، واليوم حبيس جسده الهرم وحزنه الدفين، أشعر بألم الوحدة أكثر من أي وحيد، لأنني لم أولد وحيدًا. لقد قضيت سنوات وسط أسرة كبيرة لم يهدأ صوت منزلها قط، وعندي من الأصدقاء ما يكفي لأن أقاوم الأيام.. اليوم أعيش بلا صديق ولا رفيق.



أعلم أنك قد حكمت على «عمار» بكونه صديقي لما أكتبه عنه هنا، لكن علاقتنا لم تكن صداقة قط. لا يوجد صديق يكذب على صديقه، وأنا كذبت عليه. هو لا يعلم أنني غني، ولا يعلم أن عملي بالمقهى لا قيمة له أمام ما أملك، لا يعلم أن شراكتي معه في المقهى كانت لإنقاذه من الإفلاس، لا كفرصة بالنسبة لي. أعلم أن عند موتي سيحزن عليّ، لكن لن تتوقف حياته.

أتذكر جدي عندما جلست إليه لأسمع قصصه ومغامرات شبابه. كان يضحك كل فترة من تصرف فعله هنا، أو تصرف لم يفعله هناك. اليوم أستعيد ذلك لأتذكر أن تلك الضحكة ما كانت إلا ابتسامة مكسورة، ابتسامة من يتفاخر بأفعال غيره.. فبمرور الزمن انفصل عن نفسه، أصبح يتطلع إلى ما كان عليه يوم كان مندفعًا.. مثلما أصبحت الآن.

كلما جلست إلى نفسي يحضرني فاروق جويدة في قصيدة «من ليالي الغربة».. عندما قال فيها على لساني:

«الليلة أجلس يا قلبي خلف الأبواب
أتأمل وجهي كالأغراب
يتلون وجهي لا أدري
هل ألمح وجهي

أم هذا وجه كذاب

مدفأتي تنكر ماضينا

والدفء سراب»

سأختم اليوم باعتذاري إلى جدي الذي شاركته الضحك يوم ضحك على جرحه، ولم أفهم».

•••



* 14 *

القصة الثانية

وقف «فايز» بقامته الممشوقة أمام نافذة مكتبه المُطلة على الشارع، ولأن الساعة لم تتعدَ الخامسة فجرًا، فقد سكن الشارع، وهدأت الأصوات. دخل عليه محمود بعينين ناعستين عكستا مجهود تلك الليلة. مد يده بالورقة لـ«فايز» قائلًا:

— هذا أقصى ما توصلت إليه.

— اقرأها.

فتح محمود الورقة، ثم لم ينظر فيها، بل نظر لظهر «فايز» الذي لم يلتفت من النافذة حتى الآن قائلًا:

— حضرتك الأمر أصبح شخصيًا بصورة أكبر مما ينبغي.

— هو من جعله كذلك.

سكت قليلًا في موازنة بين هل يجب أن يتحدث أم لا، فقاطع «فايز» أفكاره:

— لا تخف يا محمود، هات ما عندك.

وكأنه حبس الكلام طويلًا، وانتظر هذه الجملة:

— حسنًا.. حضرتك الموضوع أصبح شخصيًا بصورة كبيرة. الخبير مجرم كأي مجرم في البلد، ذكي بعض



الشيء، لكن لا يُهدد أمن البلد مثلًا. هل نريد القبض عليه؟ بالطبع نريد، بل إننا نعمل خارج ساعات العمل في سبيل ذلك. وقد حققنا ليلة الأمس خطوة كبيرة سأوضحها لحضرتك بعد قليل، لكن أن يُرسل لك رسالة من هاتفه، وتراه وجهًا لوجه وعند البحث عن صاحب هذا الخط نجده مُسجل باسم سعادتك، فإنه يحاول شخصنة الجريمة في حرب بينكما.. ويجب أن نعمل بذكاء على الاستفادة من ذلك، لا أن نتبعه إلى تلك الحرب.

صمت محمود بعدها للحظات مُرتبًا أفكاره، ولكن قطع رنين محمول «فايز» ذلك الصمت. استدار «فايز» أخيرًا ليتناول المحمول من على المكتب ليرد بضجر:

— إنني بخير.. كيف حالك أنتِ؟ لقد قطعنا شوطًا في قضية كبيرة، ولن يمكنني الحضور الليلة. قد آتي في الصباح أو قبل الظهر.

حسنًا.. لن أنسى. إلى اللقاء.

رفع «فايز» نظره لمُحدثه مُعقبًا:

— إذا أردت أن تنجح، لا تتزوج يا محمود. الوحدة هي سبيلك للإبداع والتميز.

هزّ محمود رأسه موافقًا وهو مبتسم، ولكن تحول



الحديث إلى الجدية المطلقة عندما سأل «فايز»:

— إلامَ توصلنا الليلة؟

— توصلنا لصاحب الإعلان في الجريدة يا فندم.

— عظيم.. من هو؟

— أسامة علي عبد العظيم، عمل مهندسًا في شركة كبيرة في القاهرة لفترة طويلة حتى..

أمال «فايز» رأسه للأمام في إشارة بأنه منتظر باقي الحديث، فاستكمل محمود:

— حتى مات من سنة ونصف.

ابتسم «فايز»، ثم أمسك بلفافة تبغ منبعجة أشبه بلفافة المخدرات، وبحث عن قداحته طويلًا حتى وجدها، ثم تحدث وهو يُشعل اللفافة:

— هل تعلم.. هذه أغرب قضية صادفتها في حياتي. فالمُجرم حتى الآن لم يرتكب أي جريمة، لكنه جعل العديدين يرتكبون الجرائم. حتى الجمجمة التي ساعدنا لنجدها كانت تجميعًا لأجزاء من جمجمتي التوأم المقتول العام الماضي، ولأنهما دفعا عمريهما لقاء أن يهرب باقي الأطفال المخطوفين معهما، فلقد كتب لهما شاهد قبر «إلى الأبطال.. إلى من ماتوا ليعيش الآخرون». ونجد بداخل الجمجمة ورقة تُرشدنا إلى



مكان تلك العصابة، بل وننقذ أطفالًا آخرين مخطوفين حديثًا.

ذلك المجرم الذي يساعد المجرمين على موقعه للتهرب من الضرائب، والتزوير والاختلاس هو نفسه الرجل الطيب الذي ساعدنا في القبض على تلك العصابة.. وهو نفسه الرجل الذي تحداني وهو في غنى عن ذلك، هو لم يحتج لأن يكشف لي وجهه وأن يخاطر بأن أقبض عليه.

أتدري أين المشكلة؟ المشكلة أن هذا الرجل هو نفسه من نجد إعلانًا في جريدة مشهورة مكتوب فيه: «على من يجد معلوماتٍ تساعدنا بتحديد مكان أو القبض على المجرم الإلكتروني المُلقب بالخبير، برجاء الاتصال بالأرقام بأسفل الإعلان.. وبمجرد التأكد من صحة المعلومات سيتم صرف مكافأة بقيمة نصف مليون جنيه لصاحب تلك المعلومات». لقد أغضب الرجل الطيب أحدهم.. لقد تأكدت وهذا الإعلان غير صادر عن أي جهة حكومية، بل إن أحدهم مستعد لدفع نصف مليون ليقبض على الخبير. لا بد أنه يعرفه، أو كان بينهما عمل سابق.ولم ينتهِ الأمر عند ذلك الحد، بل اكتشف مساعدي الذكي شخصية صاحب الإعلان، والذي قد يعرف معلومات عن ماضي الخبير.. لكن نجده



المهندس أسامة المُتوفى من عام.

— عام ونصف.

قالها محمود مُصححًا، لينفجر «فايز»:

— وما الفرق؟ لقد مات! هوية وهمية.. شخص مجهول.. كلها نفس المسميات لما وصلنا إليه وهو «اللاشيء».

عمّ الصمت لدقيقة تقريبًا، عاتب فيها محمود نفسه حتى تحدث «فايز» مجددًا:

— كيف وصلتم لشخصيته؟

— لقد تم حجز الإعلان من الإنترنت على موقع الجريدة، وتم الدفع عن طريق بطاقة حساب بنكي. لقد تتبعنا البطاقة، وكانت باسم أسامة، وكذلك البريد الإلكتروني المُستخدم في التواصل بالجريدة.

— والأرقام؟

— لقد عملت بمفردي طوال الليل للتوصل لتلك المعلومات، لذلك أردت أن أبلغك بها في البداية. كذلك أنتظر القسم التقني إذا أردنا تتبع المكالمة.

— اكتب رقم الهاتف.

قالها وهو يمد له هاتفه، بينما تردد محمود قليلًا قبل أن يُمسك الهاتف ويكتب الأرقام:



— إنه رقم سهل الحفظ، لكن ألا يجب أن ننتظر القسم التقني كي..

لم يكمل جملته عندما وجد «فايز» قد ضغط بالفعل على علامة الاتصال، ولمس الشاشة ليخرج الصوت من السماعة الخارجية. وبعد لحظات من صوت الجرس، رد صوت أربعيني أو خمسيني رصين ينم عن شخصية قوية:

— من المتحدث؟

— أحمد.. قرأت إعلانك في الجريدة، وأنت؟

— لا تهتم بموضوع الاسم.. يمكنك أن تناديني بأي اسم، نادني باسم القيصر مثلًا.. لماذا اتصلت؟

— لأنني أعرف عن الخبير ما لا يعرفه شخصٌ آخر.

— حسنًا.. فلنتقابل، أنا لا أثق بالهاتف وبمن قد يسمعنا.

— حسنًا أين؟

انتظر «فايز» ردًا، لكن الخط انقطع. نظر إلى محمود في محاولة أن يفهم ما حدث، وقبل أن يتحدث رن هاتفه مرة أخرى من نفس الرقم.

— معذرة، تنتهي مدة المكالمة كل خمس وأربعين ثانية حتى لا تُحدد أجهزة التتبع مكاني.

— حسنًا، أين سنتقابل؟



— ليس بتلك السرعة يا عزيزي، قد تكون أنت الخبير وتريد أن نتقابل لتعلم لماذا أجمع عنك المعلومات؟

— لكنني..

— هذا مجرد افتراض، ولكن الأفضل أن..

— انقطعت المكالمة مجددًا، فنظر «فايز» إلى محمود في ضجر وهمّ أن يتحدث لولا أن رن الهاتف مرة أخرى.

— ..نتقابل في مكان عام في وقت ضيق لا يمكنك من تجهيز نفسك بشكل كافٍ إذا أردت محاصرتي.

— لكنني أريد المال لا أكثر.

— يجب أن تتعب من أجله.. قابلني في محطة مترو لوفن الساعة السابعة مساءً.

— محطة ماذا؟

— لوفن.. لام، واو، فاء، نون.

— لا يوجد محطة بهذا الاسم.

— لوفن، السابعة.

— انتظر.

انقطع الخط، أو أغلقه المتحدث الغامض. في كلتا الحالتين قد تركهما في حيرتهما. نظر «فايز» إلى محمود في حيرة، وكأنهما يعالجان ما قاله حتى تحدث محمود:

— هل يشك في كوننا ضباطًا؟



— لا، هذا إجراء احترازي حتى لا يترك لأي ممن يريد أن يقابله وقتًا كافيًا.

— كان من الممكن أن يجعل الميعاد بعد ساعتين وبهذا يضيق علينا الوقت كما يريد.

ابتسم «فايز» لتلك الملحوظة:

— هذا إذا كان قريبًا ويمكنه الحضور في خلال ساعتين، ولكن من الواضح أنه بعيد.

— كان من الممكن أن ينتظر حتى يأتي، ويُعطينا ميعادًا في خلال ساعتين مثلًا.

ظهر العجز على «فايز» ولم يستطع الرد، فقال بصوت ينم عن أن رصيد صبره قد أوشك على النفاد:

— لا أعلم يا محمود.. احضر حاسبك المحمول لنبحث عن معنى تلك الكلمة، وأحضر لي خريطة لكل محطات المترو لنحصر الاحتمالات.

أومأ محمود وغادر، لتمر الدقائق في التفكير في كل المعطيات. شخص مجهول اسمه القيصر ينتحل شخصية رجل متوفى ليبحث عن الخبير. من الواضح أن هناك من يبحث عنه، ومن ضمنهم الشرطة. ما لهذه الليلة التي لا تنتهي، لا بد أنني سأتأخر مُجددًا عن المنزل. دخل محمود ليقطع أفكار «فايز»:



— لقد أحضرت حاسبي لنبحث عن تفسيرات محتملة لهذه الكلمة، وكذلك سننتظر القسم التقني ليساعدنا إذا كانت لغزًا أو شفرة. وكذلك هذه الأوراق مطبوع بها أسماء كل محطات المترو إذا لجأنا للاستبعاد.

— عظيم.. الآن فلنبحث عن كلمة «لوفن»

أجرى محمود البحث عدة مرات قائلًا:

— الكلمة غير عربية بالتأكيد.

— ابحث عن أسماء شخصيات بهذا الاسم.

— اسم طبيب سويدي ولد في القرن التاسع عشر ومات في بداية القرن العشرين.. إنجازات عادية، لا يوجد شيء مميز.

— حسنًا.. ابحث عن معنى الكلمة.

— في اللغة الإنجليزية، الكلمة مشتقة من كلمة «Love» أو حب، لكن بدون معنى. أما باقي اللغات فهي مثلًا بالنرويجية تعني القانون، وإذا بدلنا الحروف.

— القانون؟ ما المحطات التي تخدم القانون مثلًا، أو متعلقة بالقانون.

ألقى محمود نظرة سريعة على الورق وبدأ بحصر الاحتمالات:

— طرة الأسمنت، وطرة البلد، وثكنات المعادي،



وسعد زغلول، والسادات، وعبد النـ...

— لا، هذا خطأ.. لنبدأ من الأول. هيا نفكر كما يريدنا القيصر أن نفكر.

— القيصر!

قالها محمود بصوت عالٍ ينم عن حماسة من اكتشف شيئًا هامًا. انتظر «فايز» ليفهم بينما وجّه محمود نظره لشاشة الجهاز، وأخذ يبحث ويتنقل على الإنترنت حتى وصل إلى ما يُريد وظهرت على وجهه الابتسامة.

— هل تلاحظ أنني ما زلت هنا؟ هل ستتفضل وتشاركني ما وصلت إليه؟

— آسف يا فندم، إنها الحماسة. لقد تذكرت شيئًا عندما قلت القيصر. سأقرأ عليك:

«شفرة القيصر هي وسيلة لتشفير النصوص، هذه الشفرة شاع استخدامها قديمًا ويُعتقد أن يوليوس قيصر كان أول من استخدمها وكان ذلك بين 58 ق.م حتى 51 ق.م. وخوارزمية التشفير كانت بسيطة جدًا، إذ إنه كان يبدل الحرف المُراد تشفيره بالحرف الثالث الذي يليه».

— هذا صحيح، لذلك قال في نهاية المُكالمة «لام، واو، فاء، نون».. لقد فصلها كي يجذب أنظارنا إليها..



ممتاز يا محمود.

— شكرًا.. حسنًا.. اللام سنستبدلها بالحرف الذي يليها بثلاثة حروف وهو «الهاء». الواو سنستبدله بالحرف الثالث... لا يوجد بعده سوى حرف الياء فقط.

— ارجع لحرف الألف مجددًا باعتبارها سلسلة مغلقة.. الياء بعدها الألف، ثم الباء. إذن نستبدل الواو بحرف الباء.

— والفاء ستصبح «لام»، والنون تصبح «ياء».

— وبهذا يكون لدينا محطة «هبلي».

— هو هَبَل بالفعل.. هناك خطأ ما.

قالها «فايز»، ليشعر محمود بالغباء فجأة ويتحدث بثقة وكأنه يرد الإهانة السابقة:

— لقد سألتك لماذا جعل الميعاد الساعة السابعة، حسنًا هذه هي الإجابة. لقد أجرى تعديلًا على شفرة القيصر، لا يستبدل الحرف بالحرف التالي له بثلاثة حروف، وإنما الحرف التالي له بسبعة حروف.

نبرة الثقة في صوت محمود جعلت «فايز» ينتظر للنهاية.. انتظر بينما طبع محمود ورقة عليها الحروف الأبجدية بالترتيب. وتابع محمود الذي يهمس كأنه يُحدث نفسه:



— اللام.. بعدها الميم، النون، الهاء، الواو، الياء، الألف، الباء.. إذن نستبدل اللام بالباء. الواو.. بعدها الياء، الألف، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء.. إذن نستبدلها بالحاء. الفاء.. بعدها القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو.. إذن نستبدلها بالواو.

— بحوث.. البحوث.. أنت عبقري يا محمود.

صاح بها «فايز»، بينما استكمل محمود الحرف الأخير ليتأكد.. وبالفعل كان الثاء.

— الساعة السابعة في محطة البحوث.

قالها محمود بزهو، ليبتسم «فايز»:

— قلت لك منذ قليل أنك ذكي.

•••



* 15 *

وقف «فايز» في محطة البحوث وقد بلغت منه الحيرة مبلغها؛ هل ينبغي أن يقف أمام مكان بيع التذاكر، أم على الرصيف أم بالقرب من مخرج؟ وإن كان مخرجًا، فأي مخرج؟ هل كان مُخطئًا في عدم طلب قوات دعم؟ المحطة صغيرة، وعدد روادها قليلون مقارنة بباقي المحطات.. كذلك الـ.. قاطع تلك الأفكار رنين هاتفه فرد بلهفة دون أن يرى اسم المتحدث:

— القيصر؟

تغيرت تعبيراته من اللهفة والحماس إلى خيبة الأمل:

— حسنًا لن أنسى.. سأحضر العشاء، وأمر على البواب وأترك معه الإيجار. إلى اللقاء.. أنا أكثر.

نظر إلى الرصيف الثاني ليجد محمودًا واقفًا كما اتفقا، وقد ظهر التوتّر على لغة جسده، والتفاته الزائد. وبعد لحظات جاء القطار ليحجب الرؤية. وبدأ مجددًا بالبحث بين وجوه مغادري القطار على قيصر مُحتمل. وفي خضم تركيزه، أجفل عندما التصق بجانبه الأيسر شيء صلب تحت أوراق، فهم على الفور أنها ماسورة سلاح تحت جريدة، الأسلوب المُعتاد للاختطاف. وسمع نفس الصوت الذي حدثه على الهاتف، يتحدث بهدوء:



— لا تنظر إليّ، وأي حركة قد أفهمها بشكل خاطئ ستقتلك.. ثم هذه أول مرة نتقابل فيها، يجب أن نترك انطباعًا جيدًا بدون خسائر.

— لا حاجة لكل هذا، أنت لن تقتلني لما أملك من معلومات، وأنا لا حاجة لي سوى المال.

— هذا واضح.

قالها وهو يأخذ سلاح «فايز» من حزامه، قائلًا بحزم:

— عاملني كجدتك، وسر أمامي ببطء إلى خارج المحطة.

نفّذ «فايز» التعليمات، وسار ببطء ناحية المخرج، ومرّ أمام أمن المترو ولم يجذب منظره البطيء، ووجود شخص يلتصق به بسلاح -قد يكون ظاهرًا- انتباه أيٍّ منهم. ثم سارا معًا في الشوارع بنفس الكيفية والبطء بناءً على توجيهاته، حتى جلس القيصر على أحد المقاعد المعدنية العامة قائلًا:

— الآن يمكنك أن تجلس وأن نتحاور.

جلس «فايز» ببطء، وأدار وجهه بمزيج من لهفة وترقب وخوف إلى القيصر ليقول ببطء:

— أنت؟

— نعم، إنه أنا.



أمسك بسلاح «فايز» بهدوء وصوبه ناحيته، ورفع الجريدة التي كان يستعملها كساتر لسلاحه الأول، ليرى «فايز» أن السلاح الذي هدده به لم يكن سوى قطعة شوكلاتة طويلة صلبة. فتح غلاف الشوكلاتة الأحمر وقضم جزءًا كبيرًا ثم ستر سلاح «فايز» بالجريدة قائلًا:

— ماذا تعرف عن الخبير؟

— أعرف أنه جالس أمامي الآن.

قالها «فايز» بهدوء كاتمًا انفعاله، وبعد لحظة استطرد:

— وأعرف أنني سأقبض عليه.

قضم الخبير جزءًا آخر من الشوكلاتة قائلًا:

— قد يحدث ذلك، لكن ليس اليوم. فأنت لم تتعب كي تصل لي، أنا من أظهرت نفسي لك، لهذا لا تستحق أن تقبض عليّ هذه المرة على الأقل.

— لكني حفظت وجهك، حفظته منذ أن رأيتك في ذلك المقهى عند أول جريمة.

— لا.. تلك لم تكن جريمة، بل كان بلاغًا. لقد أرسلت لك نفس الجملة أو شيئًا شبيهًا في الرسالة.. لا أتذكر حقيقةً.

ظهر الضيق على «فايز» من أسلوب الحديث الهادئ، ونبرة الاستهزاء والاستفزاز:



— أرجو ألا تقدم على فعل شيء أحمق. أتفهم شعورك جيدًا، لكن لا داعي لأن تموت اليوم.

قالها ملوحًا بسلاح «فايز» من أسفل الجريدة. حاول الأخير أن يتمالك أعصابه متأملًا ذلك الوجه الأبيض، والرأس الأصلع والعينين الضيقتين التي لم يظهر لون حدقتيهما بسبب نظارته الطبية المستديرة. جسده الممتلئ؛ فهو قصير القامة، ضعيف البنية، ممتلئ بعض الشيء.. لو كانت الظروف أكثر عدلًا لصرعه «فايز» بلكمة واحدة، خاصة مع سنه الذي قد يُقارب الخمسة والخمسين مثلًا.

— حقًا.. بماذا أشعر أيها الخبير؟

— تشعر بالمهانة بالطبع. لقد تم اختطافك بواسطة عجوز يحمل شوكلاتة، واقتادك حيث أراد، ثم أخذ سلاحك الشخصي-والذي أعتبره إهانة أكبر إذا سألتني- ويهددك به الآن.

— لكن هناك جانبًا سعيدًا برؤية وجهك على هذا القرب.

ضحك الخبير قائلًا:

— سعيد أني تركت انطباعًا جيدًا في أول مقابلة بيننا.. لكن لماذا تريد أن تقبض عليّ يا حضرة الضابط؟



— ماذا تقصد؟ أنت مجرم، وأنا ضابط.. هذا عملي.

— إذا كنت مجرمًا، فلماذا لم أقتلك حتى الآن؟

كان الحديث كتبادل إطلاق نيران، كلما أنهى أحدهما جملة رشقه الآخر بأخرى. لم تتحرك الرؤوس، ولم تتحول العيون عن النظر في عيون خصمها، حتى قال «فايز»:

— ليس شرطًا أن تقتلني، يكفي أنك قد قتلت القيصر لأنه كان يجمع عنك معلومات.

وهنا ضحك الخبير بشدة، واستمر ذلك لفترة زادت من استفزاز «فايز». انتظر ثانية بعدها كاتمًا ضحكه قائلًا:

— كنت أظنك تتظاهر بالغباء، لكن سامحني أنت فعلًا لم تفهم أن...

وقطع كلامه ضاحكًا مرة أخرى، ليقاطعه «فايز» بغضب:

— أن ماذا؟

— أنني القيصر..

قالها واستمر في الضحك لفترة، ثم وضّح:

— بدأ الإعلام في الحديث عني الفترة الماضية بسبب تغريدات ومنشورات وتدوينات الشباب عني، وبهذا بدأت عروض البرامج تأتيني على المدونة بأسعار خيالية ومع ضمان حفظ السرية، حتى وإن كانت مقابلة عن بُعد صوت فقط مثلًا. بعدها بدأت تأتيني تهديدات،



حتى رسائل المُعجبين زادت عن الحد المُعتاد.

على أي حال رأيت أن الجميع يحاول أن يجمع عني معلوماتٍ، سواء أراد بي خيرًا أو شرًا.. ولهذا أردت أن أعرف مدى المعلومات التي يعرفها الناس عني.. فنشرت الإعلان.

— وكيف عرفت أنني المُتصل؟

— لأنني أحفظ رقمك مثلًا؟ لقد راسلتك عليه مُسبقًا. ثم هل تخيلت أن في صفقة تبادل معلومات، سيُعطيك الشخص الذي من المُرجح أن يكون مجرمًا لا يستطيع القراءة لغزًا كهذا؟ ظننتك فهمت مُبكرًا وتحاول أن تظهر بمظهر الغبي، لكن للأسف أنت بالفعل...

وانفجر في الضحك مرةً أخرى.

— أتساءل الآن عن كيفية انتهاء هذه المقابلة.

قالها «فايز» ناظرًا إلى السلاح.

— هل تظن أنني سأقتلك؟ لا لن أفعل، لكن أرجوك لا تضعني في خانة حياتك أو حياتي.. لأني لن أفضلك على نفسي. سأجيبك كيف ستنتهي مقابلتنا لكن بعد أن تُخبرني لماذا تريد أن تقبض عليّ؟

ضحك «فايز» نصف ضحكة قائلًا:

— أريد القبض عليك لأنك مجرم، تُساعد المجرمين.



— أنا لم أسرق أو أقتل أو أخالف القانون، حتى غلاف تلك الشوكلاتة سأضعه في جيبي حتى أجد سلة مهملات. أما عن مساعدتي للمجرمين، فمعظم الحالات على الموقع من تأليفي، والحالات الأخرى أكتب أو أسجل حلولًا وأضعها على الإنترنت، المجرم يسمعها والشرطة تسمعها.. هذه منافسة شريفة بينكم.

وعلى الرغم من ذلك، إذا فاز المُجرم فإنه لن يهرب بجريمة قتل مثلًا.. بل جريمة بسيطة غير مؤذية كالاحتيال أو النصب أو السرقة.. وسيُقبض عليه آجلًا أم عاجلًا.

— كما سيُقبض عليك.

قالها «فايز» مُوضحًا أنه لم يقتنع بما قال الخبير، أو لم يسمعه من الأساس.

— اسمع يا أحمد.. أريد أن نصبح صديقين، على الأقل نتراسل كل فترة، وكبادرة طيبة مني ستجد سلاحك غدًا في مكتبك.

— أصدقاء؟

قالها ضاحكًا، واستطرد:

— وهل ستدخل بالسلاح مديرية الأمن؟

— وهل أنا مجنون لأفعل ذلك؟ هيا لنعد إلى المحطة.



قالها، وحرك السلاح أسفل الجريدة في إشارة لـ«فايز» بأن يقف.

— حسنًا، سنعود لنظرية جدتك المريضة. سألتصق بك، ونسير ببطء.. ببطء شديد، ومجددًا لا تنظر، ولا تتحرك. انتظر إشارتي.

قالها وأوقف «فايز» بجانب المقعد المعدني، وبعدها بلحظات شعر «فايز» بفوهة صلبة مجددًا تلتصق بجانبه الأيسر، وفوقها الورق.. نفس الإحساس السابق إلا أن هذه المرة هو يعلم أن السلاح الموجود تحت الجريدة سلاحه. انتظر «فايز» لثوانٍ حتى يطلب منه الخبير أن يتحرك، وعندما تأخر الأمر تحرك ببطء. ومع الخطوة الأولى سمع صوت ارتطام وارتخاء في جانبه الأيسر كأنه قد أزال السلاح، فالتفت لا إراديًا ليجد الخبير قد اختفى، فمال إلى الجريدة ليأخذ السلاح من أسفلها. أزاح الجريدة، ثم نظر بذهول لما رآه. لقد كانت قطعة شوكلاتة في غلافها الأحمر اللامع مرة أخرى، لقد ألصق بجانبه قطعة شوكلاتة أخرى مستندة على المقعد من الناحية الأخرى وعليها الجريدة، وقد سقطت عندما تحرك. وعلى عكس المتوقع ابتسم وانحنى ليلتقطها ثم فتح الغلاف ليأكلها في طريق عودته للمحطة.

* 16 *

عاد «فايز» من الحائط المُقابل للمنصة بعد أن عدل البرواز المائل كعادته، وهو لا يستطيع سماع الموسيقى الكلاسيكية من صوت الضحك.

— ألم تفرغ من الضحك؟

— أنت لا تعلم.. لقد برمجت هذه القصة قبل أن تمثلها بيومين، ولأنه لا يمكن أن أحرق عليك الأحداث قبل أن تمثلها، قاومت كل هذه المدة، لكن الآن يمكنني الضحك. لقد اختطفه بواسطة شوكلاتة..

وانفجر في الضحك مجددًا، وحاول أن يتكلم وسط ضحكه أكثر من مرة حتى نجح أخيرًا قائلًا:

— .. مرتين.

ثم أصدر باب المقهى ذلك الصوت عند فتحه، لتدخل فتاة في منتصف العشرينات بيضاء، بدا عليها أنها قد استيقظت فجرًا كي تظهر بهذا المظهر في هذه الساعة المُبكرة. كانت جميلة، رقيقة حتى في سكونها بعدما دخلت. نظرت ناحية «فايز» وابتسمت، فزاد جمالها. وتوجهت ناحيته، وكلما اقتربت لاحظ «فايز» تفصيلة جديدة، فذلك الفستان الوردي الذي بالكاد غطى ركبتها، وتلك الأكمام الطويلة الشفافة، في تضاد واضح مع الجو



البارد نسبيًا في بداية فبراير.

— علامَ تضحك يا «عمار»؟

أُصيب «فايز» بخيبة أمل عندما وجدها تتحدث لـ«عمار» كعادة الفاتنات اللاتي دخلن المقهى. بينما التفت «عمار» متفاجئًا لمصدر الصوت وقد ظهر عليه الاضطراب:

— أهلًا.. كيف حالك؟

— من الواضح أنك لا تتذكرني.

— كيف تقولين هذا؟ بالطبع أتذكرك.. كيف حالك؟

دخل المطعم لحظتها مجموعة من الفتيات المعترضات على الجو البارد، وجلسن إلى إحدى الطاولات، لتقول إحداهن:

— بالفعل المكان ممتاز يا مريم.

وكأن الذاكرة عادت لـ«عمار» دفعة واحدة، تحدث بثقة:

— اعتبري هذا المكان بيتك، و«فايز» هنا لا يسمح بأي تطاول في المقهى.. بل لا يسمح بالدخول إلا لشريحة معينة من الناس. هذا بالإضافة إلى الموسيقى الكلاسيكية التي يتميز بها مقهى جرامافون.

ابتسمت لـ«فايز»:

— المكان جميل بالفعل.. أستأذنكما.

ظل «عمار» مُتابعًا لها حتى جلست مع صديقاتها ليزفر



بقوة ويلتفت لـ«فايز» هامسًا:

— لا أصدق أنها جاءت.. لقد نسيتها كليًا.

— كان واضحًا.. من هذه؟ يبدو أنكما تقابلتما مرة واحدة.

— صحيح، منذ أكثر من شهر في مقهى أطلانطس.. هل تعرفه؟

— لا.

— لا يهم، المهم أنني رأيتها هناك. جذبت انتباهي منذ وقعت عيني عليها، فتابعتها وسمعتها تتحدث مع إحدى صديقاتها، واتفقتا على أن تتقابلا في مكان جديد لأنها كرهت تكرار زيارة أطلانطس.. واقترحت هي الذهاب إلى مقهى آخر لا أتذكر اسمه.

فقاطعتها قائلًا: «أعتذر عن المقاطعة، لكن سمعت أنكِ تريدين الذهاب إلى ذلك المقهى فلم أستطع السكوت. هذا المقهى رغم سمعته فإنه غير محترم، وإذا دخلت زبونة بجمالك فيه قد يضايقها القائمون عليه. الأسبوع الفائت كنت هناك وقد ضايق العاملون إحداهن، وتدخلت فكسروا كأسًا عليّ تاركين تلك الندبة في يدي للأبد».

كان حديث «عمار» بصوت منخفض أقرب إلى الهمس،



بينما رد «فايز» بنفس درجة الصوت لكن بانفعال:

— هل أصبحت مُروجًا للإشاعات؟

— ثم اقترحت عليها مقهى جرامافون كبديل.. وها قد أتت.

— نعم قد أتت، وظهرت أنت كبطلٍ مغوار، وأضررت بسمعة المقهى الآخر.

— لقد كان عملًا دعائيًا للمقهى لا أكثر.

— بالطبع.. لا شيء يخص الفتاة على الإطلاق. أتراهن معك يا «عمار» على أنها ستجلس بجوارك في خلال أسبوع على تلك المنصة، لتخرجا وتأكلا وتكتشف في النهاية أنها غير مناسبة لك، أو تكتشف هي، لا فارق.. لكن يجب أن تتم دورة حياة العلاقة ذاتها في كل مرة.

— أنت تبالغ، لن أحاول جذب انتباهها حتى.

بعدها دق الجرس المُثبت على طاولتها مُعلنًا أنهن قد حضّرن ورقة طلباتهن وفي انتظار «فايز» كي يأخذها. دار «فايز» حول المنصة ليخرج إليهن، وما إن خرج وجد «عمار» عائدًا ومعه ورقة الطلبات، وضعها على المنصة قائلًا:

— لا أريد أن أسمع تعليقك.

•••

بعدها بساعة ونصف..

انهمك «فايز» في تنظيم الكؤوس خلف منصته، بينما ما زالت طاولة مريم وصديقاتها محجوزة. ويصل لـ«فايز» منها كل فترة بعض الكلمات أو ضحكة عالية. ظل الأمر كذلك حتى جاء أحمد.

— أهلًا يا أستاذ «فايز».

— مرحبًا يا حضرة الضابط.

— هل انتهيت من القصة الثانية؟

— نعم انتهيت منها، ولكنها كانت من وجهة نظر شخصية واحدة.

— هذا صحيح، لم يكن هناك حاجة لقصة ثانية.. فالأحداث واضحة من وجهة نظري.

— ما رأيك فيما حدث؟

— في أي شيء تقصد؟

قالها «فايز» ودار ناحية الزجاجات ليُخرج إحداها وصب كأسًا وناولها لأحمد، فتحدث الأخير:

— لا داعي للإحراج، لقد خدعني، وهذه لم تكن آخر خدعة. لقد كتبت القصة دون تغيير، لتتعرف على طريقة تفكيره، أريدك أن تصل في مرحلة ما إلى التفكير



بنفس الكيفية.. هذه هي خدعتي التي سأرد بها.

— حسنًا.. حظًا طيبًا، لكن هل أعاد إليك السلاح فعلًا؟

— كما قال وصلني في الصباح. لم يدخل به المديرية بالطبع، وإنما..

ثم توقف عن الحديث فجأة مُبتسمًا:

— قل لي في رأيك كيف أعاد السلاح إليّ؟

ابتسم «فايز» لتلك المفاجأة، واستغرق لحظات ثم تحدث كأنه يفكر بصوت عالٍ:

— لا بد للخبير أن يلتزم بما قال لآخر حرف، فهو سيرسل السلاح لك إلى المكتب. وبالطبع هو لن يقترب من محيط المديرية حتى، فحمله لسلاحك يكفي لزجه في السجن. وبالتالي سيحتاج لشخص لديه صلاحية الوصول إلى مكتبك.. لا بد أنه استعان بمحمود.

ظهر الفرح على قسمات وجه أحمد، وكاد يطير مُعقبًا:

— لقد وجده محمود في السيارة مع رسالة تُفيد بأن يسلمه لي يدًا بيد. لقد أبهرتني بسرعة تحليلك وتفكيرك بطريقته.

ابتسم «فايز» ولم يُعقب، فلقد رأى أن هذه هي الطريقة الوحيدة المنطقية للتفكير، لا أنه أصبح يُفكر بنفس



الطريقة. نظر إلى أحمد الذي ارتشف من الكأس ثم قال:

— أعلم أن هذا هو الحل المنطقي، وأن هذا ليس دليلًا على تفكيرك مثله، لكن الأمر هو أنك أدركت أنه سيلتزم بكلمته، وفي نفس الوقت وصلت لتحليلك بسرعة.. صدقني فترة قصيرة وستفهم الخبير أكثر من أي شخص، لقد مثل هذه القصص عدد كبير قبلك، ولم يصل أحدهم لربع ما وصلت أنت إليه.

— أتمنى هذا.

أخرج أحمد من جيبه مظروفًا قائلًا:

— ستصلك القصة الجديدة اليوم، وهذا أجر القصة الماضية. كنت سأعطيه لـ«عمار» لولا أنني قد رأيته مشغولًا على طاولة البنات تلك.

ابتسم «فايز»:

— لا مشكلة سأعطيه إياه.

— شكرًا.. إلى اللقاء.

•••



* 17 *

— واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان. لا فائدة.. لا فائدة على الإطلاق.

«إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات»

أضاءت اللمبات النيون الغرفة بشكل هادئ، وظهرت حزمة الأشعة الحمراء التي شكلت شاشة ولوحة مفاتيح أثيرية. اعتدل بعد لحظات، وبصوت ناعس أبطل خاصية البحث التلقائي ثم بدأ بالكتابة:

«لا حاجة لتاريخ اليوم، فالأيام متشابهة.. لكن الأهم أننا لم نصل لمنتصف الليل، وهذا يعني أنني أضيع نصف يومي في محاولة بائسة للنوم. هل الجميع يشعر بما أشعر به؟ هل الجميع يجلس جلستي تلك كل ليلة لا يعلم ماذا عليه أن يفعل كي يمر الوقت؟

منذ زمن وأنا أسأل هذا السؤال، وكيف لي أن أعرف إجابته؛ ففي الصباح هم يضحكون وأنا أضحك، قد أنسى ما حولي مهمومًا، وهم كذلك! حتى لو سألت أحدهم لما أجابني، كما لو سألني أحدهم سأقول أني بخير.

أتعجب من نفسي، أو قل أتعجب من الإنسان.. ذلك الكائن المُسيطر على كل شيء، فاقد السيطرة على



نفسه. أستطيع أن أضحك مع «عمار» حتى يؤلمني قلبي، وبعد دقائق أجد نفسي حزينًا مهمومًا بلا سبب. إن كانت الوحدة عدوتي في المنزل، فما عدوي عندما أنتصر عليها بتواجد الناس حولي؟

في الحقيقة لا أعرف، لكني أتذكر أن في شبابي قد أجلس إلى أمي بالساعات نتحدث ونتسامر ولا يُصيبني ذلك الهم حتى إن لم يكن الحديث مُضحكًا. أتذكر أنه قد صادفتني أيامٌ حدث فيها من المشاكل ما حدث، وقد كنت خائفًا من النتائج، لكن لم أكن مهمومًا.. لم ينتصر عليّ الحزن بهذا الشكل. أظن السبب في عدم وجود الأليف الذي يرتاح له القلب. لا يشترط أن نضحك، يكفي أن نشعر بأننا معًا. ليس لزامًا أن نتقابل يوميًا، لكن يلزم أن نعرف أنه هناك من يُحبنا على هذه الأرض.

«عمار» سيغادر كما غادر غيره، هو يعلم أننا لسنا أصدقاء وأنا أتصرف على هذا الأساس. وإذا لم يُغادر، فمن الطبيعي أن أغادر أنا في الفترة القادمة. فالمحطة القادمة هي الأخيرة.. الموت. لكن أين هو؟

أفكاري اليوم غير مرتبة، لكن يجب أن أكتبها بهذه الكيفية دون ترتيب، كأني أقولها بصوت عالٍ.. هكذا أخبرني الخبير النفسي.



بمناسبة الخبير..

أُظن أن ما فعله هو حل عملي لما أُشعر به.. لفترة على الأقل. أن تفعل شيئًا بسيطًا كما فعل وتجلس على المقهى في نهاية اليوم لتجد كل من جلس يتحدث عن الخبير وذكائه وهم لا يعلمون أنك بينهم الآن، لهو أمر يُعزز الإحساس بالألفة وأن هناك من يلحظونك ويُحبونك حتى لو لم يعرفوا عنك سوى لقب.

قد لا أُوافق على مبدئه بأنه لم يؤذِ أحدًا وأنه يُساعد في جرائم مُعينة لا تضر الناس بشكل مباشر. لكن أيضًا عندما تواصل معه مجرمون يخطفون الأطفال فإنه قد قام بإبلاغ الشرطة. بغض النظر عن ضميره، مدونة الخبير شيء مثالي بالنسبة لي، لكن أُظن أنه ينقصني الذكاء اللازم. على أي حال سأحاول مرة أخرى، وها قد فعلت كل ما أخبرني به طبيبي.. فهل سيأتي النوم؟»

•••

* 18 *

القصة الثالثة..

وقف «فايز» أمام نافذة مكتبه في ذلك الطابق المرتفع، مما سمح له بكشف جزء كبير من الشوارع المُحيطة. وقد كان المنظر مُخيبًا لأن في هذه الساعة من الصباح تكتظ الشوارع بالذاهبين إلى مصالحهم وأعمالهم. سمع «فايز» طرقات مُميزة على الباب، فرد دون أن يلتفت من النافذة:

— ادخل يا محمود.

— صباح الخير يا فندم.. هل تناولت الفطور في المنزل، أم ستفطر معنا؟

— سأفطر معكم.

قالها دون أن يلتفت لمحمود الذي اعتبرها إذنًا، وانطلق ليُرسل أحدهم ليشتري الفطور. لم تمر لحظات على «فايز» وهو على وقفته حتى عاد محمود مُسرعًا، حتى إنه طرق الباب ودخل قبل أن يأذن له «فايز».

— يا فندم.. هل شاهدت الأخبار؟

— ماذا هناك؟

قالها وقد انتقل توتّر محمود لصوت «فايز».

— سطو مُسلح.

خرج «فايز» إلى المكتب المُقابل ليجد الجميع يُشاهد



ذلك الخبر، والصورة ثابتة على البنك المُعتم، فلقد أغلق المجرمون الستائر، ووضعوا ورق حائط مُعتمًا على الباب حاجبين الرؤية عن الشرطة والفضائيات التي انتصبت على واجهات العمائر المقابلة بعد أن منعتهم الشرطة من التصوير من الشارع. وقد كُتب على الشاشة بخلفية حمراء توضح أن الأمر خطير:

«عاجل: عملية سطو مُسلح في قلب القاهرة».

بينما صدح صوت المراسلة في الخلفية:

«هذا ولم يُصرح المجرمون حتى الآن بطلبات مقابل الرهائن.. فهل سنسمع قريبًا طلبات تقليدية في مثل هذه المواقف كطائرة مُزودة بالوقود، أو غياب الشرطة لنصف ساعة. لا أحد يعلم، لذا سنعود للاستوديو مع ضيفنا خبير تحرير الرهائن الأمريكي السيد جايمس وايت».

رن هاتف محمود، فرد بسرعة:

— نعم، إنه هنا.. ثانية واحدة.

— اللواء طارق يُريدك.

قالها محمود وهو يُناول «فايز» الهاتف، ليتناوله الأخير ويخرج من المكتب:

— أهلًا يا فندم.. آسف يا فندم، لقد تركته في



المكتب.. تركته مع اللاسلكي أيضًا في المكتب. كنت أشاهده الآن.. نعم أعرف مكانه.. سآتي حالًا.

ثم نادى من خارج المكتب على محمود بخليط من التوتّر والحماس ليخرج صوته غاضبًا جهورًا، خرج على إثره محمود مهرولًا:

— يريدوننا في هذه القضية.. ذكرني بالهاتف واللاسلكي بعد ذلك.

•••

تقدم «فايز» ناحية اللواء طارق وأدى التحية، قائلًا بلهجة رسمية:

— في خدمتك يا فندم.

التفت اللواء إليه وربت على كتفه قائلًا:

— اتبعني.

تبعه «فايز»، حتى وصلا إلى جانب الطريق بعيدًا عن الزحام، وتحدث اللواء بهدوء ولهجة أقل رسمية:

— اسمع يا أحمد.. الأمر لا يُجيد معظم المتواجدين التعامل معه. في الصباح وصلتنا إشارة استغاثة من البنك، ولأنه لم يسمع أحدهم تلك الإشارة من قبل، استغرق الأمر وقتًا أطول من المفترض كي يصلوا. وعندما وصلوا، وجدوا البنك على هذه الحالة؛ الأبواب

موصدة ومُغطاة، الستائر مُسدلة. ظللنا على تلك الحالة ساعتين إلى الآن، وأول تواصل مع المجرمين كان قبل اتصالي بك بدقائق. أرسلوا أحد الرهائن الذي قد تجاوز الثمانين معه رسالة مكتوبة.

قالها طارق، وأخرج من جيبه نسخة من الرسالة ليناولها لـ«فايز» الذي قرأها بصوت عالٍ:

«أحمد بدوي.. هل تسمعني؟ أريدك في الداخل الآن لنُكمل حديثنا السابق. حوّل»

رفع «فايز» نظره ببطء للواء قائلًا:

— إنه الخبير.

— خبير ماذا؟ هل تقصد صاحب المدونة؟

— نعم.

— ألم ينتهِ من نصح المجرمين منذ زمن ونسينا أمره؟

— نعم انتهى من نصحهم، ومن الواضح أنه حلّ محلهم وأصبح ينفذ بيده.

— وأين قابلته؟ وكيف لم تُبلغ عن الأمر؟

لم يجد «فايز» بُدًا من الكذب:

— لم أعلم أنني قابلته حتى أرسل لي رسالة يُخبرني أنني تحدثت إليه يومًا ما في أحد المقاهي.



عاد «فايز» إلى التجمع مرة أخرى، وقد ارتدى واقيًا للرصاص، وجهزوا له جهاز تنصت صغير يضعه تحت الملابس. فنادى على محمود، الذي أتى مُسرعًا فمال على أذنه قائلًا:

— هذه أول مرة أقابل الخبير.. هذا ما تعرفه ويجب أن تقوله إذا سألك أحدهم.

أومأ محمود في تفهم، وثبتوا له جهاز التنصت. بدأ رحلته التي بدت بعيدة نحو باب البنك، رغم أن المسافة لا تتعدى خمسين مترًا. هبط قلب الجميع مع كل خطوة، وظن الجميع أنه ذاهبٌ لحتفه إلا هو.. فهو يعلم أن الخبير لو أراده ميتًا لقتله قبل هذا، إنما يُريد أن يتحدث ثم يهرب من أمامه مرة أخرى. وصل عند الباب، لا يدري كيفية التعبير عن وجوده بالطريقة الأمثل. فلو كان الخبير لن يقتله، هو لا يضمن من يعاونه في تلك العملية، قد يفقد أعصابه وتخرج من سلاحه رصاصة تقتله.. ابتسم «فايز» وصاح بصوت عالٍ كأنه تلقى أوامر من داخل البنك:

— كما تُريد، هذا سلاحي تركته على الأرض.

فُتح الباب جزئيًا فدخل «فايز» ليجد ماسورتي سلاح ملتصقتين برأسه. مد واحدٌ يده تحت قميص «فايز» ونزع جهاز التنصت وألقاه من فتحة الباب ثم أغلقه. فتشه الآخر



تحسبًا لوجود سلاح، ولما وجداه نظيفًا ربطا يديه وراء ظهره، وربطا قدميه بعضهما ببعض، وأجلساه على كرسي معدني، وربطا قدميه المربوطتين في الكرسي، وحملا الكرسي إلى خزنة البنك المفتوحة مُسبقًا، وتركاه ووجهه للحائط دون أن يلمحهما ولو لمرة طوال الوقت. حاول «فايز» في لحظات غياب الرقابة أن يفك وثاقه، لولا أن سمع صوتًا مألوفًا خلفه يتحدث بسخرية:

— أرى أنك لم تُتعب الأولاد.

— ماذا تُريد هذه المرة؟

— أريد التحدث من صديق لصديقه.. ألسنا أصدقاء؟

قالها وأدار الكرسي، وجده «فايز» واقفًا أمامه بنظارته الطبية ذاتها، وقميص أسود عادي وبنطال جينز أزرق مُمسكًا بقناع من البلاستيك الرخو لشخصية «بطوط» بيد، وفي يده الأخرى سلاح يمسكه باستهتار.

— لا أصادق المجرمين.. أما زلت مُصرًّا أنك لست بمجرم؟

— أين الإجرام فيما أفعل؟

قالها ضاحكًا وهو يلوح بسلاحه، واستطرد:

— إنه مجرد سطو مُسلح.

— وهل هذه الأسلحة حقيقية؟

ضحك الخبير بجسده الممتلئ:

— نعم إنها حقيقية. هذا مسدس دوار، ومع كل واحد من الأولاد مثله. وفي كل سلاح رصاصة واحدة فقط.. فلا مجال هنا كي يقتل الأولاد أحد الرهائن ويترك نفسه بلا حماية. أعلم أنني خيبت ظنك، كنت تظن أن هذه العملية بأسلحة غير حقيقية، وأنني سأستولي على سلاحك كما فعلت سابقًا، لهذا تركته أمام الباب.. هو تصرف ذكي منك، لكن للأسف لم أخطط لهذا أصلًا.

— لماذا أردتني أن أدخل؟ بالإضافة إلى حديث الأصدقاء؟

— كي تنقل لهم رسالة سأخبرك بها لاحقًا.

— حسنًا.. أريد أن أرى الرهائن.

— لا تقلق.. ستراهم قريبًا. هل تعلم؟ منذ فترة ليست ببعيدة، احتوت هذه الخزنة على أكثر من ثلاثين مليونًا.. والآن كما تراها، خاوية على عروشها.

— تعلم أنك لن تتمكن من صرفهم، إنهم دفعة بأرقام مُسلسلة من البنك المركزي.

— أعلم ذلك، هل تظن أنني قد جئت اليوم على سبيل الصدفة؟ إذا جئت في يوم آخر ما وجدنا هذا المبلغ، أو نصفه حتى.

— كيف ستنفقه إذن؟

— وما حاجتي بهذا المال؟ لن أنفق قرشًا واحدًا.. أنت تعلم أنا لست بمجرم لأغتصب أموال البنك التي تُعتبر مال الناس في النهاية.

— وماذا تفعل الآن؟ هل ستُعيد الأموال للبنك في نهاية اليوم؟ هل ستتبرع بها للشعب؟ وإرهاب الرهائن، ألا يُعد إجرامًا؟ لا أعلم إذا كنت تمزح، لكن إذا اعتقدت أنك لست بمجرم، فإنك مريض.

— يا عزيزي هذا بنك خاص مؤمن عليه، كل قرش سيؤخذ من الخزنة سيعود من شركة التأمين. هل تعلم ما هي شركة التأمين؟ إنها شركة صوفيا للتأمين، تلك الشركة التي نصبت على أكثر من أربعين أسرة في حادث السفينة الغارقة، والتي لم تدفع تأمين السفينة أو الضحايا.. تقنيًا أنا أسرق الآن من شركة التأمين. أما عن إرهاب الرهائن، فلك الحق لم أحسب هذا الأمر مُسبقًا على الرغم من تنبيهي للأولاد أن يعاملوهم بمنتهى الرُقي.. لكن هذا ليس كافيًا. أرأيت؟ هكذا يتحدث الأصدقاء.. أوضح لك نقطة، وتلفت نظري لأخرى.

لم يُعقب «فايز» حتى تحدث الخبير مرة أخرى:

— اسمع يا أحمد، أريد خدمة من صديق لصديقه..



لديّ هنا أربعون رهينة، يحتاجون للأكل والشرب. وأرجوك لا تضع أجهزة تنصت، أو مُنوِّم.. سنكتشف ذلك. ستجد في جيب بنطالك الخلفي قائمة بأسماء الرهائن، وسيوصلك الأولاد إلى الباب.

— سأبلغهم بذلك.

— أرجو ألا تنقل خبر وجود رصاصة واحدة في كل سلاح لقادتك، لأنهم سيقتحمون قائلين أننا سنقتل خمسة رهائن في أسوأ الظروف.. لن تُصدق كيف قد يتصرف أحدهم إذا تأكد من ضعف خصمه.. لن يهتم بالخسائر، وإنما الانتصار.

— سيهتم.

— لن يفعل، أنت لا تعلم كم الجثث التي تدخل المشرحة كل يوم.. بل لا تعلم كم الجثث التي تُسرق من المشرحة ولا يهتم أحد بكيفية دخولها، أو خروجها، إنها مجرد أرقام بالنسبة لهم. كذلك إذا تمكنت أن تأتي لي بالطعام سأكون شاكرًا لك. أما إذا خفت من أن يُقال بأن بيننا صداقة، وأنني طلبتك مرتين بالاسم، يمكنك أن تُرسل محمودًا.. لن نفتح الباب لوجه جديد.

ثم أصدر الخبير صفيرًا عاليًا فأتى الاثنان السابقان وقد رآهما «فايز» مُرتديين ملابس عادية في المُجمل ومُقنعين

بقناع بطوط، حملا الكرسي بدون كلام حتى الباب، فكا وثاق قدمه من الكرسي، ثم من بعضهما البعض، ودفعاه من الباب ويداه ما زالتا مُقيدتين.

وصل سريعًا إلى اللواء قائلًا:

— هذه قائمة بأسماء الرهائن.. يريدون أكلًا وشربًا بدون أي خدع.

— هل لاحظت أي شيء مفيد؟

— بالطبع، عددهم أربعة ومعهم الخبير؛ أي خمسة في المُجمل. سيهربون بأقنعة لشخصية بطوط.

— بطوط؟

— نعم يا فندم، إنه مرتبط بهذه الشخصية منذ التسجيلات التي اعتاد نشرها على مدونته. لقد كانت بصوت بطوط أيضًا.

ثم مال على اللواء وهمس قائلًا:

— يا فندم تسليحهم سيئ.. كل شخص لديه رصاصة واحدة في سلاحه، لكن لا نُريد أن نتسرع بالهجوم كي..

— بالطبع.. بالطبع.

قاطعه اللواء ثم أمسك اللاسلكي:

— نُريد طعامًا يستغرق وقتًا.. سمك أو أي شيء آخر يجعلهم يجلسون وقتًا طويلًا على طعامهم. وقوة



التدخل، استعدوا للمناورة.

نظر «فايز» للواء بعدم فهم، ليُعقب اللواء:

— تحسبًا لأي حركة مفاجئة.. لا تقلق.

— لقد اشترط أن يُحضر الطعام شاب في أواخر العشرينات مثلًا.. أرشح محمودًا لهذه المُهمة.

ابتسم اللواء لـ«فايز» قائلًا:

— لو طلبك مرة أخرى لظننت أنكما أصدقاء.

•••



19

— مستعد؟

— نعم، يا فندم.

— لا تتأخر يا محمود، قد نقتحم في أي وقت.

قالها اللواء لمحمود الذي حمل حقائب الأكل ونقلها أمام الباب على دفعات، ثم طرق الباب وانتظر، ففُتح الباب جزئيًا بنفس الطريقة، ونقل الطعام للداخل، وأغلق المجرمون باب البنك. بدأ اللواء على أثرها يتحدث في اللاسلكي:

— استعدوا، الاقتحام خلال عشر دقائق.

نظر «فايز» لباب البنك الموصد متخيلًا ما قد يحدث للرهائن، ولمحمود أيضًا. مرت بعدها الدقائق ثقيلة، وسيارات الشرطة تطوق مُحيط البنك، وفرقة التدخل أخذت بالتشكل في انتظار التحرك ناحية البنك، ثم تحدث اللواء مرة أخرى لفرقتي التدخل وجهًا لوجه:

— المجرمون مرتدون قناع بطوط.. أظن أن موسم صيد البط قد بدأ.

وقبل أن تتحرك الفرقة، فُتح باب البنك فجأة وسمعوا صوت أعيرة نارية، وخرج الرهائن مذعورين في جميع الاتجاهات، والكل ارتدى نفس القناع. حاولت قوات الأمن



أن تحتوي الرهائن، بينما صاح «فايز»:

— المجرمون خمسة.. ابحثوا عمن يحمل حقيبة كبيرة.

في غمرة الحركة والذعر وتدخل قوات التدخل بتلك الأسلحة قد عزّز الشعور لدى الرهائن بأن إطلاق النيران قد أوشك، وبالتالي وصل الذعر لذروته.

— هناك.. في أقصى اليسار.

قالها «فايز» وهو يسحب سلاحه، فتبعته مجموعة حتى وصل لأربعة يحملون حقائب سوداء كبيرة. أما الخامس فوجدوه في قلب الرهائن وقد جثا على ركبتيه تحت تهديد أسلحة القوات الخاصة في استسلام. وقف الخمسة أمام «فايز» واللواء، وكان بينهم اثنان بنفس الجسد الممتلئ، واثنان تعرّف عليهم «فايز» لأنهم استقبلاه بنفس الملابس عند الباب، والأخير بجسد رشيق نسبيًا، وملابس سوداء.

بدأ اللواء برفع قناعي الاثنين اللذين استقبلا «فايز»، وبعدها أشار اللواء لثلاثة عساكر لرفع الأقنعة، فرفعوها في وقتٍ واحد، ليجد «فايز» رجلين آخرين في جسم الخبير، ولم يكن بينهما، والرجل الخامس الذي استسلم سابقًا.. لم يكن سوى محمود وقد وضع الخبير شريطًا لاصقًا على فمه

وربط الحقيبتين إلى يديه.

— لقد خرج بدون حقيبة.

قالها محمود مذعورًا بعد أن أزالوا الشريط اللاصق.

•••

بعد شهرين..

وقف «فايز» في السابعة صباحًا أمام نافذة مكتبه، واللفافة في يده. رن هاتفه فتناوله من جيبه دون أن يحول نظره عن النافذة:

— مرحبًا.. نعم إنه أنا.. أي شقة؟ لا بد أن هناك خطأ.. مع السلامة.

وقطع المكالمة دون أن يسمع رد مُحدثه. دخل عليه محمود بعد أن طرق الباب، وسأله إذا ما كانا سيتناولان الفطور معًا. وقبل أن يرد «فايز» رن هاتفه مرة أخرى:

— أهلًا.. إنه أنا.. أي إعلان؟ لا توجد شقق للبيع.

ومجددًا أنهى المكالمة دون أن ينتظر رده، وقال مُعقبًا:

— لا بد أن أحدهم قد أضاف رقمي بالخطأ في إعلان بيع شقة.

— سيستمر الأمر بضعة أيام وينتهي.

— أجب على كل الاتصالات الآتية من أرقام غير مُسجلة..

قالها «فايز» وهو يُلقي الهاتف لمحمود الذي لم يتوقع أن يُلقيه بتلك الطريقة وكاد أن يسقط منه لولا أن التقطه في آخر لحظة، وجلس إلى مكتبه قائلًا:

— ونعم سأفطر معك.

همّ محمود أن يغادر ومعه هاتف «فايز» الذي رن قبل بلوغه الباب مرة أخرى، فنظر في تردد لـ«فايز» الذي شجعه بإيماءة، فرد:

— أهلًا.. نعم هذا هاتفه، هذا خطأ في الإعلان أعتذر لك علـ.. ماذا قلت؟ ما اسم الشركة مرة أخرى؟ أين وجدت الإعلان؟ لا أمزح.. هل..

ولكن محدثه قد أنهى المكالمة. رفع محمود نظره ببطء إلى «فايز» قائلًا:

— لم يوضع رقمك بالخطأ.

— ماذا تقصد؟

— هل تعرف اسم شركة العقارات التي وضعت الإعلان؟

لم يترك له فرصة للتفكير وأجاب:

— الخبير.

قفز «فايز» من مقعده قائلًا:

— أرسل أحدهم ليُحضر كل جرائد اليوم، وابحث



على الإنترنت عن ذلك الإعلان.

غادر محمود دون أن يتكلم بعد أن ترك الهاتف على المكتب، بينما حاول «فايز» أن يستبق ما يحدث. بدأ عقله بالتحليل:

«لا بد أنني سأجد إعلانًا موجهًا لي، فما نسبة المصادفة من أن تضع شركة «الخبير» إعلانًا برقم هاتفي؟ إنها رسالة من الخبير بواحدة من تلك الطرق الدرامية. لقد مرّ أكثر من شهر منذ مقابلتنا الأخيرة، ومدة أطول منذ أن قام بعملية على أرض الواقع. هل يُريد أن يتحداني فقط؟ أم هذا جزء من عملية يحاول تنفيذها؟ هل يُريد مقابلتي مجددًا؟»

قطع رنين الهاتف سيل الأسئلة، فالتقطه بعنف ليرد بتحفز:

— تتحدث عن الشقة؟ لا يوجد شقق للبيع إنه.. أهلًا يا حبيبتي، لقد وضع أحدهم اسمي في إعلان شقة بالخطأ.. لا ليس أمرًا هامًا.. نعم لقد أكلت.. أنا أكثر.. إلى اللقاء.

فرك عينيه بقوة، ثم أخرج علبة سجائره الملفوفة وأشعل إحداها في هدوء، وما زال عقله يتساءل. دخل عليه محمود وفي يده جريدة:



— إن الإعلان في كل الجرائد.

وقف محمود إلى جانب كرسي «فايز»، وفرد محمود الجريدة أمامهما على المكتب ليقرأ «فايز» الإعلان:

«إعلان

تُعلن شركة «الخبير» عن بيع شقة في شارع جامعة الدول العربية لظروف السفر. مساحة 220 م2 وتطل على الشارع الرئيسي. السعر المطلوب:700000 جنيه (قابلة للتفاوض).

البيع للأسرع، فالساعة تدق.

قطعة 2.. الحي 3.. بلوك 8.. عمارة 4.. الدور الأول.

للمخابرة على مدار الساعة: 0109136816»)

أعاد «فايز» قراءة الإعلان ليُعقب «فايز»:

— تحقق من هذا العنوان.

رن هاتف محمود بعد هذه الجملة مباشرةً ليرد باقتضاب:

— حسنًا.. فهمت.. شكرًا.

— العنوان وهمي، لقد جعلت أحدهم يتحقق بعدما وجدت الإعلان مباشرةً، بل إن صيغة العنوان نفسها لا تُستخدم بتلك الطريقة في هذه المنطقة. فلا يوجد حي 3، أو بلوك 8.

— إنها شفرة، إنه يلعب مُجددًا. أرسل للتقني ليحاول



حلها، ولكن تذكر يجب ألا يعلم أن الموضوع بتلك الأهمية، نحن لم نُبلغ ولن نرفع الأمر حتى نتأكد. والآن سنذهب للمطار للبحث عنه.. لقد قال لظروف السفر.

— هل تظنه سيسافر فعلًا؟ هل هو بتلك السذاجة؟

— بل يظن أن بإمكانه أن يجعلنا نبحث عن حل الشفرة، وندور في حلقات مُفرغة بينما الحل موجود أمامنا. أحضر لي قائمة بالمطارات الدولية، وأرسل لهم تعميمًا بصورته التي رسمها الرسّام الجنائي.

— تمام.

— وهيا لنذهب إلى مطار القاهرة.. سنبدأ من هناك.

التقط «فايز» معطفه، بينما التقط محمود الحاسب الآلي المحمول وانطلقا إلى سيارة «فايز» الخاصة. فبينما انشغل «فايز» بالقيادة، انشغل محمود بإرسال الصورة لأمن المطارات، وكذلك بالبحث عن مواقع المطارات الدولية في مصر.

— حسنًا.. لدينا عشرة مطارات دولية في مصر.. سنبدأ بمطار القاهرة الدولي وقد استلمت مطارات برج العرب، والإسكندرية، وأسوان المعلومات.. وجاري الإرسال لباقي المطارات.

رن هاتف «فايز»، فأشار لمحمود أن يرد، فرد محمود

وفتح السماعة الخارجية ليسمع صوت شاب على الطرف الآخر يتحدث بسرعة:

— أحمد باشا.. كيف حالك؟ أنا خيري من البنك، أخبرتني أن أبلغك إذا حدث أي شيء يخص تلك القضية.

— ماذا حدث يا خيري؟

— البنك في حالة استعداد وتأمين قصوى، لا بد أن اليوم سنستقبل المبلغ المسروق من شركة التأمين.

— ماذا؟

قالها «فايز» ضاغطًا على مكابح السيارة في مفاجأة جعلت السيارة تتوقف وسط الطريق الفارغ تقريبًا، واستأنف المكالمة دون أن يركنها:

— ما الطريق الذي ستأخذه السيارة؟

— لا نعلم سيادتك، هذه معلومات تعلمها شركة التأمين وحدها، نحن غير مسؤولين عن هذه الأموال حتى نستلمها.

أنهى «فايز» المكالمة، ونظر لمحمود وتحدث بصوت أقرب إلى الهمس كأنه يُفكر والكلمات قد خرجت رغمًا عنه:

— هل صدفة أنه يُرسل إليّ رسالة في نفس يوم تحويل شركة التأمين للأموال؟ أم يُذكرني بانتصاره



عليّ؟ أم سيحاول..

قطع حديثه رنين هاتف محمود هذه المرة، فردّ محمود بسرعة:

— حسنًا.. فهمتك.. أرسلها لي. فهمتك.. نعم.. بالطبع.. شكرًا.

انتظر «فايز» أن يشرح له فحوى المكالمة، فبدأ محمود الكلام:

— إنه التقني الذي تركت له الشفرة ليحلها، وقد جرّب العديد من الشفرات حتى اقترح برنامجه حلًا جديدًا باستخدام نظام يعتمد على العدد «12».

— لا أفهمك.

— أي أن يتم تبديل الحرف بترتيبه في الحروف الهجائية حتى العدد 12، وإذا تعدى العدد 12 فإنه يُعيد العد مرة أخرى.

— ولماذا 12؟ أليس مقبولًا أن يكون 11 مثلًا؟

— بالطبع ممكن، لكن التقني حدّد 12 لأن الرسالة احتوت على كلمة «الساعة»، وبالتالي 12 أقرب.

— ما حل الشفرة في النهاية؟

— لقد أخبرتني ألا أشدد على أهمية الموضوع، لذا أخبرني أنه أرسل لي مفتاح الحل كي أحلها أنا.لقد



أرسل لي هذه الصورة، قائلًا أن صاحب الشفرة يمشي مع ترقيم الساعة بالحروف، فالألف الحرف الأول مثلًا، والذال الحرف التاسع.. وبعد الحرف الثاني عشر يعود للرقم واحد مرة أخرى. أي أن حرف السين هو الثاني عشر، لذا يستبدله بـ12.. أما الشين وهو الثالث عشر يستبدله بـ1 باعتباره بعد الـ12 في هذا النظام.

— وماذا كان نص الشفرة في الرسالة؟

— قطعة 2.. الحي 3.. بلوك 8.. عمارة 4.. الدور الأول.

فبدأ «فايز» بالعد على الساعة، والحروف أمامه:



12 س... م

11 ز... ل

1 أ... ش... ن

10 ر... ك

2 ب... ص... هـ

9 ذ... ق

3 ت... ض... و

8 د... ف

4 ث... ط... ي

7 خ... غ

5 ج... ظ

6 ح... ع

— 2 تعني الباء أو الصاد أو الهاء.

3 تعني التاء أو الضاد أو الواو.

8 تعني الدال أو الفاء.

4 تعني الثاء أو الطاء أو الياء.

1 تعني الألف أو الشين أو النون.

— هل يمكننا حصر الاحتمالات أكثر من ذلك؟

بدا «فايز» وكأنه يجرب تركيبات الحروف مع بعضها البعض:

— بوديش.. صتفين.. صوديش.. صوفين..



فقاطعه محمود:

— صوفيا.. إنها صوفيا شركة التأمين.

— لقد وضع الحل أمام أعيننا.

أدار «فايز» محرك السيارة وركنها إلى جانب الطريق، ورفع هاتفه ليتصل باللواء طارق:

— أهلًا يا فندم.. فيما يتعلق بقضية البنك، إنهم ينقلون المال اليوم. أعرف يا فندم هذه ليست قضيتي الآن، لكن هناك احتمالية أن تكون سيارة شركة التأمين مستهدفة.. حسنًا.. تمام.

نظر أمامه قائلًا بصوت منخفض:

— أخبرني أنه سيهتم بالأمر.. أظنه لم يعد يثق في كلامي.

رن هاتف «فايز»، فرد بحماس:

— أي أخبار يا فندم؟ ماذا؟ لا توجد شقق للبيع.. ذلك الإعلان الغبي.

كتم محمود ضحكته رغم توتّر الموقف لولا أن قال «فايز»:

— لماذا يسطو على المال، ألا يكفيه الثلاثين مليونًا التي حصل عليها من البنك؟

واستطرد دون أن يدع فرصة لمحمود أن يرد:

— يُريد أن يخدعنا نفس الخدعة مرتين.. هذا أسلوبه.

— لكن الأمر ليس بتلك السهولة، لن يتمكن من السطو على سيارة مُصفحة في وضح النهار في قلب القاهرة.

نظر «فايز» بنفاد صبر:

— لا يُشترط أن تتم العملية في قلب القاهرة، قد تكون على أطراف المدينة أو خارجها.. الله وحده يعلم مسار تلك السيارة، وأين خطط الخبير أن يـ...

وفجأة أدار «فايز» المحرك، وانطلق بسرعة جعلت العجلات تُصدر صريرًا يعلو على صوته، ولم يتضح من كلامه بعدها سوى «شارع جامعة الدول».

•••



* 20 *

— واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.

تنهد «فايز» ببطء ثم اعتدل على سريره، وطلب إضاءة الكتابة ودفتر المذكرات، وبعد أن عطل خاصية البحث التلقائي، بدأ في الكتابة:

«الخامس من مايو..

إنه ليوم مميز، يوم لا أحتاج فيه للنوم.. أو قل أعرف أنني لن أستطيع. مثلت قصة أخرى بين الخبير وأحمد بدوي تتلخص في أن أحمد ذكي، لكن الخبير خارق الذكاء. كذلك يرى الخبير أنه لم يُخطئ حتى الآن.. بل يرى أنه مُفيد للمجتمع ويحاول إصلاحه.

أفضل عادة الأفلام ذات الشرير النبيل الذكي، لكن ليس بتلك الطريقة.. إنه يلعب نفس اللعبة مرتين؛ بدايةً من تهديد أحمد بالشوكولاتة مرتين، إلى إخباره المعلومات مباشرةً مرتين. أظن أن أحمد بدوي لم يفهم أن الخبير أخبره بأنه سيرى الرهائن قريبًا في إشارة أنهم سيخرجون قريبًا.

سألت نفسي بعد تمثيل أول قصة ما الذي يدفع ضابطًا بعد هذه المدة، وبعد أن أصبح على المعاش أن يظل متابعًا للخبير ويحاول القبض عليه؟ ما الذي يجعله

يكتب القصص، ويدفع أربعة أضعاف ثمن القصة الواحدة؟ بل ما الذي جعله يتصور ذلك التخيل بأنه إذا عاش ممثل نفس الأحداث، وتنبأ بتصرفات الخبير وأصبح يُفكر مثله، فإنه قد يفيده في كمين مستقبلي؟

الآن عرفت السر.. للخبير هالة تأسر من يمسها. لقد أسرني الخبير، أصبحت أرى بعينيه.. أرى الحروف أرقامًا، أرى طرقًا أتفوق بها على أي من الموجودين.. لقد أصبحت أميل للإجرام النبيل. كلما رأيت ساعة، حاولت تخيل الحروف وهي تدور عليها.. كلما رأيت كلمة غريبة حاولت أن أحولها لحروف. أرى لافتة المقهى «جرامافون» فترسم تحتها الأرقام.

المُمتع في مغامرة القصص أنه يُكرر خدعته، وأحمد يعلم أنه سيكرر خدعته.. لكنها تتكرر رغم ذلك، وبنجاح!

على أي حال، يجب أن أشكر أحمد باشا على إتاحة هذه الفرصة. وكذلك يجب أن أشكر الخبير الذي استحوذ عليّ كليًا.

أظن أنني سأراجع كل الكلمات الغريبة التي قابلتها في حياتي الليلة، لعل إحداها شفرة ما لم أستوعبها. لعل الخطأ الإملائي في جريدة ما، والذي سخرت من سذاجته كان كلمة سر لخزنة.. لعل «الخبير» نفسها إذا



حولتها لحروف بشفرة القيصر، أو بتوزيع الحروف على الساعة ينتج عنها معلومة جديدة.

من يدري؟

...

* 21 *

— وهل سطا على السيارة في شارع جامعة الدول فعلًا؟

قالها «فايز» بصوت عالٍ في المقهى وهو يعدل البرواز، ليرد أحمد بدوي الجالس على مقعده أمام المنصة كالعادة:

— نعم، لكنني تأخرت. لقد سرق من البنك أكثر من ثلاثين مليونًا، وسرق من شركة صوفيا التي تؤمن على الأموال نفس المبلغ.

— لكن هناك حلقة مفقودة.. إنه لا يستهدف البنك من الأساس كما أخبرني.. أقصد كما أخبرك.

ابتسم أحمد بهدوء:

— هذا ما ستراه في القصة القادمة.

ثم ناوله ظرف الأموال، ورزمة الأوراق التي تحتوي على القصة الجديدة، فوضعهما «فايز» على المنصة ودار ليقف خلفها في مواجهته.

— في هذه القصة سيفاجئك الخبير. أتمنى أن ترى ما فعل بوجهة نظر جديدة ومختلفة عن وجهة نظري.

قالها وقام من كرسيه في إشارة بأنه سيغادر.

— إلى اللقاء.

— إلى اللقاء يا أحمد باشا.



خرج أحمد من الباب ليقف «فايز» أمام القصة، يُخبره قلبه أن يطّلع عليها، بينما يخبره عقله أنه إذا قرأها، فإنه لن يستطيع تمثيلها وستفوته متعة أكبر. وأثناء تأرجحه بين عقله وقلبه دخل «عمار» وقد ظهر بمظهر مُخالف لاهتمامه الدائم بمظهره؛ حيث كان مكفهر الوجه، وقميصه لم يكن مفرودًا بعناية، حتى شعره كان أشعث كأنه خرج لتوه من عراك.. وقد خسره.

— ماذا حدث؟

قالها على الفور لـ«عمار» الذي جلس على الكرسي المواجه له، والذي جلس عليه أحمد منذ ثوانٍ:

— أعطني أي شيء بارد.

لم يتحرك «فايز»، وكررها ثانيةً:

— ماذا حدث؟

وجد «عمار» كأس أحمد السابقة أمامه، فشرب الباقي دفعة واحدة:

— يبدو أن شراكتنا ستنتهي.

لم يُعقب «فايز»، وإنما انتظر توضيحًا فاستطرد «عمار»:

— إنها طليقتي.. حادثة سيارة، لا بد أن السائق كان مخمورًا. في غيبوبة من ليلة أمس، وأحتاج لأكثر من ثلاثة ملايين لإنقاذ حياتها.

— لماذا؟ ماذا حدث لها بالضبط؟

— لا أعلم.. لقد تحدث الأطباء بعدة لغات ليخبروني بأن نسبة من المخ قد خمدت، وأن معدل الاستجابة سينخفض للنصف بحلول الليلة.. وإذا انتظرنا أكثر ستموت لا محالة.

— وماذا عن أهلها؟

— لا أهل لها.. فقط أنا.

لطالما أيقن «فايز» بأن «عمار» قد أحب زوجته فعلًا، لعلها الوحيدة التي أحبها، لكن هل يدوم لكل هذه السنوات؟ قطع «عمار» أفكار «فايز» بصوت هامس كأنه يُحدث نفسه:

— ثلاثة ملايين.. هل تعلم كم أملك بعد بيع السيارة والشقة؟ مليون. مليون وسأصبح بدون سيارة، وسأعيش هنا في المقهى.. ويتبقى ضعف ما أمتلك. لا يمكنني سوى بيع نصف المقهى الذي أملكه.. أظن سعره سيتعدى المليون.

ابتسم «فايز» على الفور عندما رأى الحل الذي يمكنه أن ينقذ به «عمار» من بيع السيارة والشقة دون أن يشعر بمهانة الدَين، وفي نفس الوقت لا يعرف أن «فايز» غني وقد أخفى عنه ذلك:

— هل تمزح؟ المقهى يتعدى العشرة ملايين بكثير،

فكيف يبلغ سعر نصفه مليونًا؟

— لا تهزأ مني يا «فايز»! هذا سعر خيالي، لن تجد من يشتريه منك بهذا السعر، خاصةً في هذه المدة القصيرة.

— المشتري موجود.

— من؟

— قريب لي بالخارج، أعجبته فكرة المقهى ويُريد أن يشتري النصف الذي أمتلكه منذ فترة.. وقد بلغ عرضه لي الخمسة ملايين.

— هل يمكنه الشراء قبل الليلة؟

قالها «عمار» بحماس وقد تجدد لديه الأمل.

— بالطبع، أنهِ أنت أوراق البيع، ووقعها من طرفك وسأتركها له حتى يعود ليوقعها هو. لن تُبطل توقيعك أو تبيعه لشخص آخر أليس كذلك؟

— بالطبع لا، هل أخون من سينقذ حياتها؟

— حسنًا، ستجد الأموال في حسابك في غضون ثلاث ساعات.. اترك العقد في غرفة الآلة.

— سأفعل.. شكرًا يا «فايز»، واشكر قريبك. أنا مدين لكما.

— إنها عملية بيع وشراء.. لا ديون هنا. أريد منك أن تُبرمج قصة الضابط الجديدة كي لا نفقده.



— سأفعل غدًا بعد الاطمئنان عليها.

•••



* 22 *

وقف «فايز» أمام نافذة مكتبه ينفث دخان سيجارته إلى الشارع، بينما جلس محمود على أحد المقعدين المواجهين للمكتب:

— ماذا ننتظر؟

— الخبير.. إنه سيتواصل معي.

— هل أتواصل مع أحد التقنيين كي يُحدد موقعه عندما...

— لا حاجة لذلك، فهو لن يقع في فخ بهذه السهولة. ثانيًا نحن لم نعد المسؤولين عن هذه القضية، لذا إذا وصلتنا أي معلومة سيأخذونها ويطلبون منّا أن نتنحى عن مواصلة التحقيق.. فهمتني؟

التفت «فايز» بعد أن أنهى كلامه ليرى أثره على محمود، بينما حاول الأخير أن يُغير مجرى الحديث:

— ولماذا سيتصل؟

— ليُبرئ اسمه.. سيحاول تبرئة نفسه ويقول أن شركة التأمين سرقت أربعين أسرة للضحايا الذين غرقوا في الحادثة الأخيرة، ورفضت تعويضهم رغم أن عقد تأمين السفينة يوجب عليهم تأمينها وما عليها من ممتلكات وأرواح في حالة النكبات أو الأعطال.. أنت

تعلم تلاعب المحامين بالألفاظ.

— وماذا عن أموال البنك؟

— سيخبرني أنه وهبها للجمعيات الخيرية.

— ولماذا يتكبد عناء ذلك.. هو اليوم أغنى بثلاثين مليون جنيه عما كان الأمس. وإذا وهب الثلاثين المليون الأولى للجمعيات الخيرية، فما زال معه ثلاثون مليونًا تمكنه من الاعتزال والسفر للتمتع بالباقي من عمره في أي دولة في العالم.

— لن يستطيع أن يصرف من الستين أو الثلاثين مليونًا قبل أن يصدق أنه يستحق ذلك.. يجب أن يقنعني ليقتنع.. إنه مريض.

— لا أعلم.. لكني لا أظن أنه سيتصل، على الأقل الآن.

وكأن الخبير انتظر هذه الكلمة ليتصل به. لم يرد «فايز» للحظات على الرقم الغريب، واكتفى بالنظر لمحمود بابتسامة للحظات، ثم سحب نفسًا أخيرًا من لفافته قبل أن يُلقيها من النافذة ويرد جاعلًا الهاتف في وضع السماعة الخارجية:

— أهلًا يا خبير.

فرد صوت غليظ:



— خبير ماذا؟ أنا اللواء أيمن.. هل هذا هاتف أحمد بدوي؟

— نعم.. إنه أنا.. أعتذر يا فندم، الرقم لم يكن..

ضحك المتحدث على الجهة الأخرى قليلًا قبل أن يتحدث بصوت الخبير العادي:

— لا تُنكر أنك لم تتعرف على صوتي.

لم يستطع محمود أن يكتم ضحكته لما رآه من تبدل حال «فايز» من الثقة والانتصار في البداية إلى التوتّر والمفاجأة ثم إلى الغضب في النهاية.

— أهلًا يا أحمد باشا.. كيف حالك اليوم؟

— كيف حالك أنت؟ لقد وصلت متأخرًا.

— أعلم، فقد رأيتك أنت ومحمود.. أدهشتني بحلك للغز بهذه السرعة.

— أنت تعلم، لقد أصبح لدينا فريقًا من التقنيين الذين..

انقطعت المكالمة، ورنّ هاتف «فايز» مرة أخرى من رقم غريب مختلف:

— تعلم، احتياطات أمن من فريق التقنيين الخاصين بك. لكن هذا غير أخلاقي، أنا أرسلت لك الشفرة، وأنت استعنت بأشخاص وحواسب آلية.. هذا غش.



— ماذا تريد؟

— أريد أن أخبرك أنني كنت من أثرياء مصر لفترة اليوم، فلقد ملكت ثلاثين مليون جنيه.

— تقصد ستين.

ضحك الخبير:

— هل تريد أن نتقابل؟

— تعلم أنني سأقبض عليك.

— تعلم أنك لن تستطيع.

— متى وأين؟

— الآن إذا أردت.. فقط قم بقيادة سيارتك إلى طريق منزلك المُعتاد، ، وستجدني في المقهى الموجود في نهاية شارعك.

— بهذه البساطة؟ هل..

انقطعت المكالمة مرة أخرى، فخاطب «فايز» محمود بلهجة آمرة:

— سأذهب لمقابلته، ولن نقع في نفس الفخ مرتين. ستتحدث إلى الإدارة بوجود بلاغ من مجهول لهاتفي بأن هناك قنبلة على هذا المقهى، وأنني ذهبت إلى هناك لتأمين عائلتي.. أريد أكبر قوة تستطيع الحصول عليها.. أريد تأمينًا كاملًا لمحيط المنطقة.. أريد..



رن هاتفه قاطعًا حديثه ليرد بسرعة:

— هل ستأتي فعلًا؟ لا ليس لكِ يا حبيبتي، لقد كنت أنتظر مكالمة.. لا، سأعود اليوم مُبكرًا.. حسنًا.. أنا أكثر.

•••



* 23 *

نزل «فايز» مُسرعًا إلى سيارته، ربط حزام الأمان كمقدمة للسرعة التي انطلق بها تاليًا. أخذ في التفكير في الطرق المُحتملة لهروب الخبير. هو يحفظ هذا المقهى عن ظهر قلب، ولا بد أن الخبير قد أعد خطة مُسبقة، ثم غمغم بصوت خفيض:

— ستحتاج وسيلة إلهاء جديدة هذه المرة.. ولن أنخدع.

خرج الخبير من المقعد الخلفي بسلاح موجهًا إياه لـ«فايز»:

— لقد انخدعت عندما وثقت فيما قلت مرة أخرى.

تفاجأ «فايز» أنه ليس وحده في السيارة، وكادت عجلة القيادة أن تنزلق منه لولا أن تمالك نفسه في النهاية، وركن سيارته إلى جانب الطريق:

— أعلم أنك لن تقتلني.

قالها بصوت حاول أن يجعله هادئًا رغم المفاجأة.

— بالطبع، فالأصدقاء لا يقتلون بعضهم البعض. لكن يمكنني أن أطلق رصاصة على يدك التي تحاول فك حزام الأمان مثلًا.. ولن تموت.

سحب «فايز» يده بسرعة وغيظ.



— انظر يا أحمد باشا..

قالها الخبير وهو يلف حبلًا حول «فايز» ليقيده بمقعده، واستطرد:

— سنتحاور قليلًا، وأغادر.. أنت تعلم لا يوجد أفضل من حوار بين صديقين، فأنا مدين لك بالتبرير كرد لجزء من جميلك يوم البنك.

— جميلي؟

— بالطبع، لقد ساعدتني على الهرب.

ضحك قليلًا، واستطرد:

— لقد طلبتك لتدخل، وأخبرتك بمعلومات أردتك أن تعرفها؛ مثل أن عددنا خمسة فقط، وأننا سنهرب بأقنعة بطوط، وأن الخزينة احتوت على ثلاثين مليونًا، أي أننا سنحتاج حقائب كبيرة للهروب، وبالطبع أردت أن يأمر القادة بالاقتحام، لذا أخبرتك بمعلومة الرصاصة الواحدة في كل سلاح، ولقد قمت بدورك في إيصال المعلومات. هل رأيت الآن كيف ساعدتني في الهرب؟

— بل خنت أنت رجالك الأربعة، وأعطيتهم الحقائب لنقبض عليهم هم ومحمود وتهرب أنت.

— رجالي؟ إنهم مجرمون وقتلة، ولقد أرسلوا على المدونة بأن لديهم معلومة مؤكدة بأن البنك اقترض من



البنك المركزي ثلاثين مليونًا ويريدون عقلًا ليُدير لهم المهمة. لقد أهديتكم أربعة مجرمين، علاوة على منع جريمة سرقة البنك التي أرادوا تنفيذها من الأساس.

— وهل تعد هذا منعًا؟ لقد سرقته بدلًا منهم.

رن هاتف «فايز»، فمد الخبير يده في جيبه ليُخرجه، وقرأ المكتوب على الشاشة:

— أستاذ خيري بنك؟ حمدًا لله أنني قابلتك الآن قبل أن ينقل لك الخبر.

— خبر ماذا؟

— قل لي أولًا، ما هدفي من السطو على البنك؟

— المال بالطبع.

— إجابة خاطئة.. بل إيذاء شركة صوفيا.. سؤال آخر، ما هدفي من السطو على سيارة الشركة؟

— تريد إيذاء الشركة وأخذ الأموال منها؟

قالها «فايز» بلهجة تشكيك، وسؤال فرد الخبير:

— إجابة خاطئة أيضًا، بل توقيع غرامة على الشركة لتأخرها في تحويل الأموال.. فهم لن يجدوا ثلاثين مليونًا مجددًا قبل ثلاثة شهور مثلًا.

— لا أفهم.. لماذا تحاول إضفاء بطولة على ما فعلت؟ لقد سرقت ستين مليونًا، يمكنك السفر لأي بلد وتتمتع

ما تبقى لك.

— وكيف التمتع وأنا وحيد. سأتصل بأستاذ خيري بنك ليُخبرك بتفصيلة قد توضح لك الأمر.

وأمسك الهاتف، واتصل بخيري ووضع المكالمة على وضع السماعة الخارجية، ليرد الأخير بسرعة:

— أحمد باشا.. هناك أشياء غير مفهومة تحدث. الأمس وجدنا خطابات لأربعة وعشرين عميلًا تُفيد بأنهم متنازلون عن محتويات صناديق الإيداع الخاصة بهم للبنك. وعند فتح تلك الصناديق وجدنا تسعة وعشرين مليونًا.. نفس الأموال المفقودة في عملية السطو منذ أكثر من شهرين بنفس تسلسل الأرقام.. أنا لا..

أنهى الخبير المُكالمة:

— تسعة وعشرين مليونًا في صناديق الإيداع، ومليون وكسور في حقائب الأربعة مجرمين المقبوض عليهم.. تلك أموال البنك كاملة قد عادت إليه.

— هل تقصد..

— نعم، لم أخرج بالمال.. لقد تركته في صناديق الإيداع على أساس أننا سنسحبه بتلك الهويات الوهمية فيما بعد، وها هي الأموال عادت للبنك.



رن هاتف «فايز» مرة أخرى فقرأ الخبير المكتوب على الشاشة، وعقب:

— لا بد أن الله يُحبني. تلك زوجتك، أرجو ألا تحاول الإشارة بأنك مُقيد كي لا أجعلها تقلق عليك أكثر.

قالها، ثم ضغط زر الرد ووضع المكالمة في وضع السماعة الخارجية:

— يا أحمد وصلني طرد غريب، هل هو من طرفك؟

أومأ الخبير، فقال «فايز»:

— نعم يا حبيبتي، افتحيه.

سمعا معًا صوت تمزيق الغلاف ثم شهقة قوية:

— ماذا هناك؟

قالها «فايز» بخوف وهو ينظر للخبير بتوعد:

— إنها أموال.. أكثر من مائة ألف جنيه.

حرك الخبير يده على رقبته في إشارة بأن ينهي المكالمة:

— حسنًا يا حبيبتي.. اتركيها حتى آتي.. إلى اللقاء.

أنهى الخبير المكالمة، لينفجر «فايز»:

— كيف تجرؤ على إرسال أموالًا إلى منزلي؟ كيف تجرؤ على إشراك عائلتي في....

— اهدأ.. إنه حقك. لقد وزعت عشرين مليونًا على الأربعين أسرة التي سرقتهم الشركة من قبل. أخذوا



مبالغ تعويض أكثر مما قد تُعطيهم الشركة. كنت أنوي أن أوزع الثلاثين مليونًا كلها عليهم، لولا أنك لفتّ نظري لخوف الرهائن والموقف العصيب الذي خاضوه، لذا وزعت العشرة ملايين المُتبقية عليهم، نصيبك كان مائة ألف بما أنك ساهمت في نجاح الخطة وهروبي، ومحمود مائة ألف لقاء الإهانة التي لحقت به عندما جعلتكم تقبضون عليه بدلًا مني. وباقي الرهائن بالطبع وصلتهم مبالغ معقولة جدًا لقاء ساعتين من الخوف.

صمت «فايز» لحظات قبل أن يُعقب الخبير:

— أعلم أنك لن تحتفظ بالمال، لكن كان واجبي أن أرسله إليك كالباقين.

— أنا لا أفهمك.

قالها «فايز» بصوت منخفض من أثر الصدمة.

— بل بدأت في فهمي. ليس معنى أنني لا أتقيد بالقانون أنني مُجرم. هل تعلم ما الجميل في الأمر؟ أنك لن تُعيد الأموال للشركة، ففي قلبك تعلم أنها استحقت ذلك، وتعلم أن هؤلاء الناس استحقوا تلك الأموال. وحتى لو أردت نقل تلك المعلومات لمن يتولى القضية، فلا أحد من تلك الأسر سيدعم قصتك.

لم يرد «فايز»، فاستطرد الخبير وهو يعبث بحبال «فايز»:



— هل فهمت الآن؟ لقد سرقت ثلاثين مليونًا وليس ستين.. ثم وزعتهم. إذا وصلك مائة ألف، فأنا لم أستفد بجنيه واحد منها.. أنا لست مجرمًا.

ترجل الخبير من السيارة وألقى لـ«فايز» هاتفه من النافذة قائلًا:

— ستتمكن من فك وثاقك في دقائق، لقد حللت العقدة الأصعب قبل أن أغادر.. إلى اللقاء.

•••

في اليوم التالي وقف «فايز» أمام النافذة لا يعلم هل يجب أن يُبلغ القيادة فعلًا، أم يترك الأموال والقضية وقد ذهبت إلى مكانها الصحيح. طرق محمود الباب ليقطع عليه تفكيره قائلًا:

— هل ستتناول الفطور معنا؟

— نعم.

كاد محمود أن يغادر قبل أن يستوقفه «فايز» دون أن يلتفت من مواجهة النافذة:

— هل وصلتك أي طرود أمس؟

تلعثم محمود قليلًا قبل أن يرد بصوت متوتّر:

— طرود؟ ماذا تقصد؟ لا، لم يصلني.

واستأذن وغادر، بينما ابتسم «فايز» للشارع.



* 24 *

«تعطيل البحث التلقائي».

«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»

«نعم»

«تم تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة».

«لطالما شعرت بأن هذه المذكرات سيقرأها شخص من بعدي. فإذا تحقق ذلك، يجب عليك أيها القارئ أن تفرح معي لأن أخيرًا قد فهمت شخصية الخبير.

تقنيًا الخبير لم يقم بأي جريمة حتى الآن، بل يمكننا حتى أن نضعه في مرتبة الأبطال. فهو لم يقتل ولم يسرق ولم يغش أو ينصب، في حين أنه قد فضح القتلة والسارقين وردّ الحقوق التي أكلها النصابون. وإذا استعمل «روبن هود» القوس، فإن الخبير استعمل العقل. وإذا خدع الأول حاكم المدينة، فالثاني خدع الجميع وجعلهم يعملون لحسابه دون أن يشعروا.

لكن السؤالين اللذين يجب أن تسألهما لنفسك هما: أولًا: لماذا يلاحقه الضابط بهذا الإصرار؟ والثاني: لماذا يفعل الخبير ذلك خاصةً أنه لم يستفد ماديًا بأي صورة من الصور؟



حسنًا أما السؤال الأول، فإجابته تحتاج رؤية الأحداث بنفسك. فالخبير لا يتمتع بأي مميزات؛ فهو ليس رئيسًا لعصابة، ولا يملك من النفوذ شيئًا، ولم نر دلالة على ثروته وبذلك نستنتج أنه فقير، أو أنه لم يستخدم ثروته في أي من مخططاته، حتى جسده ممتلئ يسبقه فتى في العاشرة إذا تسابقا.. وبالرغم من كل هذا يستطيع الهرب كل مرة.

استطاع الهرب وقتما أراد، وبالخطة التي وضعها. هذا الأمر لم يفعله مرة أو اثنتين، بل فعله طوال الوقت. في حين أن الضابط لديه النفوذ والقوة البدنية والعساكر طوع بنانه، وبالرغم من كل هذا انتصر عليه الخبير. أهان ذكاءه أكثر من مرة، وتحداه أكثر من مرة.. وكل مرة يفوز بالتحدي. هذا سبب مطاردة الضابط له، وأظن أنه إذا أعطاني ألف قصة أخرى، لن أجد جريمة واحدة قد ارتكبها الخبير فعلًا.

أما السؤال الثاني، فإجابته تُذكرني بقصة ذلك الشخص الذي انتحر، وعندما بحثوا عن إثبات شخصية في ملابسه وجدوا ورقة كُتب فيها «سأسير على الجسر، وإن ابتسم لي أحد لن أنتحر». بغض النظر عن صحة القصة من عدمها، فإنه ليس في استطاعة الشخص

العادي المتزوج ذي العائلة والأحباء والزملاء، أن يخمن ما قد نشعر به نحن الوحيدون.. أظنك أيها القارئ ستكون واحدًا ممن لن يفهموا شعورنا.

لكني قلت مُسبقًا أن مدونة الخبير لهي أفضل الحلول لوحدتي. وقلت أن اهتمام الناس بي على الرغم من عدم كشف شخصيتي سيكون أكثر أنسًا من حياتي تلك. أن يراك الناس دون أن يعرفوك، خير لك من ألا يرونك من الأساس. اليوم تأكد لي ذلك الانطباع، الانطباع القائل بأن الخبير وحيد. إنه وحيد كوحدتي هذه.. إنها الدافع الذي يُحركه، أن يعرفه الناس ويتحدثون عنه.

وبعدها أصبح أن يتابعه الضابط وينشغل بما يفعله، ولا أظن أن الخبير رأى أنهما أصدقاء فعلًا ولكن على مستوى مختلف عن الصداقات العادية. مستوى من لم يُجرب الصداقات قط، ويكتفي بأن يراه شخص، أو يفكر به حتى لو في سبيل الإيقاع به.

لكن عندي تعقيب سيدي القارئ؛ تعلم أن الخبير ذكي، أليس كذلك؟ هذا صحيح.. لكنه أساء التقدير. لا يُمكن لأحمد بدوي أن يفهم دافع الخبير. ولا يُمكن للمتزوج ذي الأصدقاء والعمل الذي يجعله يحتك مع المئات أن يشعر بما يشعر به الخبير.. لا يمكن أن يتعاطف معه، أو يرى

معدنه الحقيقي.. غدًا سأسمع تفسير الضابط للقصة، وسيكون أن الخبير سارق ويتباهى بذلك، أو على أقل تقدير أنه لا يستوعب لماذا فعل الخبير ذلك!

أما أنا فأعلم.. وسأخبره غدًا».

•••



* 25 *

— لماذا تهتم بتلك اللوحة؟

— بل أهتم بالبرواز.

قالها «فايز» في طريقه عائدًا بعدما عدّل من وضع البرواز إلى أحمد الجالس على المنصة.

— البرواز؟

— نعم، الإطار الخارجي فقط.

— لا أفهم.

— لا عليك، ما رأيك فيما فعل الخبير في القصة الأخيرة؟

— أريد أن أسمع رأيك أولًا. أنت من مثلت القصة.

— أعلم، وسأخبرك به، لكن أحتاج أن أسمع رأيك أولًا.

— حسنًا، بعد تفكير لمدة أعوام، وبعد تدقيق في كل الأحداث ومراجعتها بشكل كامل أستطيع أن أخبرك أنني ببساطة.. لا أعلم.

ابتسم «فايز» لمّا تأكد مما افترض، ليستطرد أحمد:

— لقد افترضت في البداية أنه سرق من أموال البنك وشركة التأمين، لكن تأكدت أنه لم يسرق منهما. بعض الأشخاص أنكروا وصول دفعات لهم كتعويض منه، لكن

استطعت أن أثبتها وقدرت المبالغ.. الخلاصة أنه لم يسرق. إذن هو لم يستفد ماديًا.

بينما على صعيد الشهرة لم يتم نشر تفاصيل القضية في الصحافة، وهو لم يقم بنشر أي شيء عنها على مدونته. ولا أرى أي دافع قد يسعى وراءه غيرهما، حتى علاقاته الشخصية كانت محدودة ولم يزره أحد في البيت تقريبًا حسب شهادة الجيران.

كلما تحدث أحمد، اتسعت ابتسامة «فايز» وتألق وجهه أكثر، فسأله أحمد بتشكك:

— هل تعني بابتسامتك هذه أنك فهمت؟

ابتسم «فايز» أكثر وبدا كالطفل وهو يومئ لأحمد الذي تحول لطفلٍ هو الآخر من فرط التشويق، وتحدث بسرعة:

— هل هو تخمين أم أنك متأكد؟ ما هو تفسيرك أصلًا؟

— إنه يفعل كل ذلك كي يبهرك.. كي..

رأى «فايز» خيبة الأمل على وجه الضابط على الفور، فسكت دون أن ينهي جملته. كانت لحظة صمت طويلة نسبيًا خاصةً بالنسبة لـ«فايز» الذي انتظر رد فعل مُغاير.

قطع أحمد ذلك الصمت بلهجة جادة:

— أستاذ «فايز».. أرجو ألا تستهين بعقلي، القصة



الأخيرة من نصيبك ولن يمثلها شخص آخر، فلذا لا حاجة لتلك الـ..

قاطعه «فايز» وقد احمرّ وجهه من الغضب:

— إنني لا أكذب، ولا حاجة لي بتلك القصة الأخيرة. لقد فهمت شخصيته من تمثيل بعض القصص، بينما أنت لم تفهمها وقد جلست أمامه وجهًا لوجه.

— لماذا يُريد أن يبهرني؟ هل أنا حبيبته مثلًا؟

— بل صديقه.

قالها «فايز» وقد ارتفعت نبرة صوته على غير العادة مما جعل جميع الجالسين في المقهى يلتفتون إليه، فنظر لهم كأنه أفاق، ونظر لأحمد ليتحدث الأخير بنبرة هادئة:

— سأرسل القصة الجديدة على بريد «عمار»، وهذا حساب القصة الفائتة. سأقابلك للمرة الأخيرة بعد أسبوع، وسأنتظر منك رأيًا مُفصلًا عن كل شيء، أتمنى أن تُقدم رأيًا أكثر عقلانية. أما إذا أردت الانسحاب، فقط اجعل «عمار» يخبرني على البريد.

استدار ليغادر، ثم توقف مرة أخرى متحدثًا بهدوء:

— ظهر تعاطفك معه من البداية، والآن تحاول الدفاع عنه. أرجو ألا يكون إحساسي صحيحًا يا أستاذ «فايز».

وغادر أحمد بهدوء وكأن شيئًا لم يكن، بينما استند



«فايز» إلى الحائط متنهدًا بعنف نتيجة تسارع دقات قلبه. فدخل «عمار» ليرى «فايز» على هذه الحالة، فركض ناحيته:

— ماذا حدث؟ هل تشاجرت معه؟

— لا عجب أنه لم يقبض عليه حتى الآن.

قالها «فايز» وهو يلهث. سحب «عمار» كرسيًا ودار حول المنصة وأجلس عليه «فايز».

— اهدأ.. تنفس ببطء.

— لماذا تركت طليقتك؟

— إنها بخير، سأعود إليها بعد ساعتين.. كيف حالك الآن؟

— إنني بخير.

— ماذا حدث؟

قالها «عمار» ودار حول المنصة ليجلس أمام «فايز» في كرسيه المُعتاد.

— ذلك الغبي عاش أمام الخبير كل هذه الفترة، وتقابلا كل هذه المرات، واستغرق كل هذه السنوات في تحليل الأحداث بينهما ولم يفهم شيئًا عنه. بينما أنا من تلك القصص فهمته، وعندما أخبرته ظن أنني أكذب عليه كي يستمر في تعامله معنا.

— حقًّا؟ لماذا يفعل الخبير كل هذا؟

— كي.. لن تفهم، لن يفهم أحد.

قالها «فايز» ونظر للبرواز المُعلق أمامه كأنه يستنجده، أو كأنه يطلب منه أن يُخبره أنه يفهمه.

— لماذا أتيت؟ لقد أخبرتك ألا تأتي هذه الفترة، فلديك من المشاغل ما يكفي.

— لقد أتيت في عمل. لقد اتصل بي علي.

— علي؟ علي من؟

— علي فيفتي.. الذي أحضر لنا القصص السابقة، وأخذ نسبة الـ..

— لقد تذكرته، ذلك الذي يأخذ النصف دائمًا، لكن معنا يأخذ الثُلث فقط.

— بالضبط.

— هل معه قصص جديدة؟

— هل تتذكر القصص الثلاث السابقة لرحيله مباشرة؟

— بالطبع؛ قصة أنس والفنار، وقصة الملك المُصاب، وقصتي المُفضلة عمر الخالد.

— نعم، تلك القصص. المؤلفون يريدونك أن تُلقي نظرة أخرى عليهن دون تمثيل حتى، لتتذكر الأحداث.



وهذا لأن أحدهم فقد البريد الذي أرسلته، والثاني لم يقتنع بالنقد، ويرى أن هناك تعليقات أخرى يجب أن يسمعها، والثالث يُريد نظرتك بعد خروجك من القصة، لأن بها رسائل مخفية لم تُلاحظها.

— الثلاثة في نفس الوقت؟

— صدفة أليس كذلك؟

— لا، إنها ليست صدفة.

رن هاتف «عمار» بنغمة قصيرة، ليُعقب:

— إنه أحمد بدوي، قد أرسل لي بريدًا.

— نعم إنها قصته الجديدة، والأخيرة.

— حقًا؟

— نعم، الأخيرة بالنسبة له، لا أعتقد أنه سيقبض على الخبير.

— هل تُريدني أن أبرمجها أم سنقطع علاقتنا به؟

— ألا تُريد أن تعرف ماذا حدث في الفصل الأخير؟

— الفضول يقتلني.

— ضاعف فضولك مائة مرة كي يقترب من فضولي.. برمجها بالطبع.

ضحك «عمار» فرحًا للمال، ولإكمال القصة التي رآها واحدة من أكثر القصص تشويقًا، وأهمية في نفس الوقت.



— سأفعل، وأنت لا تنسَ ما طلبه «فيفتي».. إنه يريدهن في خلال أسبوع.

— سأحاول، لكن ألا ترى أنها مصادفة غريبة أن يطلب الثلاث مراجعات إضافية في نفس الوقت؟

— بالطبع، لكن قد يكون السبب الحقيقي قد أخفاه عني، أو أنه انتظر ليجمع القصص الثلاث دفعة واحدة كي يدفع سعرًا أقل.

— ربما.

قالها «فايز» في عدم اقتناع.

•••



* 26 *

الفصل الأخير في قصة الخبير

جلس محمود أمام «فايز» على الكرسيين المُقابلين للمكتب، وقد فرد محمود بينهما خريطة صغيرة، وتحدث بصوت منخفض كأنهما مُراقبان:

— كما أمرت، تحققنا من كل الكاميرات المُتاحة من وقت مغادرته لسيارتك.

— هل تحققت من كاميرات المطاعم والبنوك والـ..

— تم التحقق من جميع الكاميرات، حتى المطاعم الأجنبية والبنوك الخاصة.. استعنّا بكل المعارف.

— والنتيجة؟

— استطعنا تتبعه إلى إحدى المناطق الشعبية، لكن لا نعلم إذا كانت زيارة أم منزله. وحتى إن كان منزله، فالمنطقة أكبر من أن يتم تغطيتها بالكامل، ولا يجب أن نسأل عنه في المنطقة ونجازف بحرق أهم بطاقة لدينا دون فائدة.

— هذا صحيح.

قالها «فايز» بهدوء ودخان لفافة التبغ يتصاعد من بين أصابعه.

— وما رأيك يا أحمد باشا؟



— رأيي أنها ليست قضيتنا.

— ماذا؟

ألقى «فايز» الجزء الأخير من لفافته فيما تبقى من كوب الشاي البارد، ومحمود يتابعه بعينيه في استنكار مشوب بالتقزز، ثم مال إليه ببطء قائلًا:

— اسمع يا محمود.. قضية الخبير من القضايا الباردة التي لا يهتم بها أحد حاليًا، لكن إذا تم القبض عليه أو عاد للأضواء سيثور متابعوه مُجددًا. بعبارة أخرى؛ الخبير صيد ثمين، طالما بقى تحت الماء.

— لا أفهم.

قالها محمود بصدق وبلاهة ليشرح «فايز»:

— ببساطة لدينا الآن معلومة أكثر من المعلومات التي جمعتها الداخلية كلها عنه، وأمامنا أن نحاول القبض عليه بها، لكن هل تعلم ماذا سيحدث لو فشلنا؟ سنكون مسؤولين عن كل جرائم الخبير المُستقبلية، وصدقني هذا أكبر مما يمكننا تحمله.

— إذن هل سنتركه بهذه البساطة؟ لماذا تتبعناه من الأساس إذن؟

لم يُجب «فايز»، ووقف أمام محمود مُعدلًا من هندامه:

— من يتولى قضية الخبير الآن؟

— المُقدم مصطفى خالد.

— مصطفى؟

ردد هازئًا، ودار ليقف أمام النافذة:

— اطوِ تلك الخريطة، سنحتاجها عند المُقدم مصطفى.

•••

طرق «فايز» باب مكتب آخر في نفس الطابق ليسمع صوتًا أجش يأذن له بالدخول. دخل وخلفه محمود ليجدا شابًا في منتصف الثلاثينات، يبدو أنه يقضي معظم يومه في التمارين. فهو طويل، عريض، وإذا حاول ضم يديه إلى جانبه، لن يستطيع بسبب البناء العضلي، لذا جلس وقد ضمّ ساعديه إلى صدره وتداخلت العضلات فيما بينها، ليؤكد انطباع الحارس الشخصي الذي ارتسم في مُخيلة محمود.

وما إن رأى «فايز»، حتى انتفض:

— أحمد باشا، كيف حالك؟

قالها بصوت يطغى عليه المرح والفرحة الحقيقية في تعارض صارخ مع هيئته، ليرد «فايز» بتصنع:

— كيف حال بطل المديرية في كمال الأجسام؟

ضحك مصطفى طويلًا على الرغم من تكرار ذلك التعبير



منذ سنوات بينهما. وعلى الرغم من سنوات الزمالة تلك، لم يفهم مصطفى أن «فايز» لا يُحبه خاصة أنه يحصل على ترقياته لسببين؛ إما لأنه يحمل اسم أبيه، أو لأن أباه توسّط له.

— ماذا أتى بك بعد هذه المدة؟ لحظة.. ماذا تشرب؟

— لا.. لقد شربنا لتونا، وأريدك في أمر عاجل.

تحوّلت نبرته للجدية:

— ماذا هناك؟

— سمعت أنك المسؤول عن قضية الخبير.

— هذه قضية ميتة، ولست مسؤولًا إلا بشكل صوري. إذا أردت الحقيقة، فإن القضية ستُغلق قريبًا، والتعليمات أن أحاول الحفاظ على هدوئها ذلك حتى تُغلق.

— ألم تتوصلوا لأي معلومات عنه؟

— معلومات؟

قالها وضحك، ثم استطرد:

— لولا أنك حدثت هذا الرجل في البنك، لأقسمت أنه شبح غير موجود.. لا يوجد أي معلومات عنه.

— بل يوجد.

توقفت حركة مصطفى بشكل كلي، وارتسمت على وجهه



كل معاني البلاهة، ومال على «فايز»، ولولا وجود المكتب بينهما لاحتضنه:

— ما درجة أهميتها؟

ابتسم «فايز»، واستند إلى كرسيه قائلًا:

— فلنقل أننا عرفنا أين يسكن.

— هل تمزح؟

قالها في عدم تصديق، ولما رأى الثقة في ابتسامة «فايز»، والترقب على وجه محمود، أمسك اللاسلكي والتقط معطفه وقام مندفعًا:

— أين؟

أمسك «فايز» بيده وتحدث بهدوء:

— اهدأ.. لا يمكننا التسرع. أنت تعلم الخبير، يجب ألا يشعر، وأنت تعرف أنه يتمكن من الإفلات كل مرة، وهذه المرة مختلفة.

رد مصطفى بصوت منخفض ظهر فيه الاقتناع:

— ماذا تقصد؟

— أقصد أن الأوامر أن تُبقي القضية ميتة، فإذا أردت أن تُحييها، يجب أن تُحييها بالقبض عليه ليس بالسماح له بالهروب. يجب ألا تسمح للكارهين بأن يُشيروا إليك بالفشل، ويقولوا أنك وصلت لما وصلت إليه بمساعدات

من الباشا.

جلس مصطفى على الكرسي، وقد أصبح مِلكًا لـ«فايز» بالكامل، بينما استطرد الأخير:

— يجب أن نجلس ونتباحث، وقد نستعين بالمسؤول عن منطقته أيضًا.

أشار إلى محمود، الذي وضع الخريطة أمامهما، وأشار على جزء منها:

— هو يسكن في هذه المنطقة.

تمتم مصطفى بصوت منخفض:

— يحيى ابن عمي هو المسؤول عنها.

ظهر التأفف مُجددًا على وجه «فايز» من تلك العائلة، ثم قال بنفس اللهجة الناصحة:

— إذن يجب أن تستعين به، وكما قالوا قديمًا «أنا وابن عمي على الخبير».

•••



* 27 *

— وماذا الآن يا فندم؟ ستضره بهذه الطريقة.

— لا تقلق.. لطالما لعبت معه تلك اللعبة، ولطالما تمت مكافأته إذا نجح، والتغاضي عن أخطائه إذا فشل.

— لا أعلم.. أظنه طيبًا.

— إنه طيب، لكنه لا يصلح للشرطة.. أنت لا تعرفه.

سكت محمود بعدما سجّل اعتراضه بأقصى صورة تسمح بها رتبته. وبعد دقائق، وطرق على الباب، دخل مصطفى ومعه شاب وسيم يغلب على هيئته العمل المكتبي.

— أحمد باشا.. المُقدم يحيى الطيب ابن عمي مباشرةً، والمسؤول عن المنطقة التي...

توقف عن الكلام، ونظر إلى الباب ليتأكد من أنه مُغلق، واستطرد:

— التي نشك أن الخبير يسكن بها.

بعد قليل من السلام، والتعارف وإشراك محمود في الجلسة وتعريفه على أنه من أنجب وأذكى من قابلهم «فايز» في جيله، جلس «فايز» على كرسيه خلف المكتب، وجلس المُقدمان على الكرسيين المُتقابلين، بينما ظل محمود واقفًا مُمسكًا بمجموعة من الأوراق. وبدأ «فايز» في عرض المعلومات التي توصلا إليها:



— حسنًا، ما لدينا الآن هو المنطقة التي يسكن بها الخبير..

وضع محمود الخريطة على المكتب أمامهم، والمكان المُحاط بدائرة يتوسطها.

— وكذلك لدينا صور للخبير، سواء مرسومة بواسطة الرسام الجنائي، أو صور رقمية التقطتها الكاميرات.

تابع محمود الحديث، وكلما ذكر «فايز» شيئًا عن ورقة أو صورة معه، وضعها أمامهم. فانتهى «فايز» من الحديث وقد وضع محمود الخريطة، واللوحة التي رسمها الرسام الجنائي، وعدة صور له من كاميرات البنوك والمطاعم وهو يمشي في الشارع. وكان التعقيب الأول من نصيب مصطفى:

— إنه بدين!

نظر «فايز» له باشمئزاز، واستطرد كأنه لم يتكلم:

— مهمتنا الآن، أن نعرف أين يسكن بالضبط في هذه المنطقة.. هذا سيتطلب منك التواصل مع بعض أهل المنطقة.

كان حديثه موجهًا ليحيى الذي أومأ برأسه دون أن يرد، واستطرد «فايز»:

— لا أظن المخبرين، ومُسجلي الخطر سيعرفون

مكانه.. نريد أن نسأل أهل المنطقة أنفسهم.

مجددًا لم يرد يحيى، واكتفى بهز رأسه، ليُنهي «فايز» حديثه بجملة قصيرة وجهها لمصطفى:

— وسنحتاج قوة كبيرة.

— أنت تبالغ يا أحمد باشا.. لكن كما تُحب.

تحدث يحيى بهدوء:

— لكن كيف سيتحرك الباشا؟ أين البلاغ؟

— البلاغ من عندك، سيأتيك بلاغ من مجهول بأن هذا البيت يسكنه الخبير.. وبناءً عليه سيتحرك الباشا بقوته على العنوان.

— بالطبع سنذكر اسم الباشا، ومساعدته لنا يا يحيى.

قالها مصطفى ضاحكًا، ليرد «فايز»:

— تسلم يا مصطفى، أنا أريد فقط أن أجلس معه عندما تقبض عليه.

— اتفقنا.. الآن ننتظر يحيى ليرد علينا بمكانه.

— أهم شيء يا يحيى باشا الهدوء.. التحرك ببطء، ودون لفت أنظار، نحن لا نعلم ما قد يأخذه الخبير من احتياطات.

مجددًا لم يرد يحيى واكتفى بهز رأسه.. وبعد قليل تفرق الجمع.

•••

بعد مرور يومين..

وقف «فايز» كعادته أمام النافذة، ولفافة التبغ بين شفتيه، بينما جلس محمود على الكرسي وقد طال الصمت حتى قطعه محمود:

— ماذا الآن؟

استغرق لحظات ليمسك اللفافة بيده، ويرد دون أن يلتفت:

— لا شيء.. سننتظر.

— إلى متى سننتظر؟

— سيظهر عنوانه اليوم أو غدًا.

كاد محمود أن يرد مرة أخرى لولا أن سمعا طرقات على الباب، دخل على إثرها مصطفى:

— لقد حددنا مكانه.

التفت «فايز» على الفور مُبتسمًا، وقبل أن يرد استطرد مصطفى:

— لا تقلق يا باشا، لقد سقط أخيرًا. لم يشعر بشيء، والمخبرون أمام المنزل الآن وسنذهب إليه.

— خذ قوة كبيرة.

— كما اتفقنا.. لا تقلق، القوة يمكنها القبض على الحي



كله.

— لا يهمني الحي، أهم شيء ألا يخرج من شقته إلا مقبوضًا عليه.

— إنه يعيش في عمارة بمفرده. أنتظر أن أجلس معه، أكاد أقسم أنه يتمتع بخفة الظل، إنه يُسمي عمارته باسم «عمارة الخبير».

وضحك مصطفى بمرح ظهر لـ«فايز» استفزازًا، لينهي الحديث باقتضاب:

— توكلوا على الله يا باشا.

•••

وقف «فايز» أمام النافذة مُمسكًا بلفافة تبغ جديدة، بينما لم يتحرك محمود من مقعده المواجه للمكتب، ثم قال في توتر:

— ماذا الآن؟

رد «فايز» بغضب ظهر واضحًا في نبرة صوته المرتفعة:

— مُجددًا؟ لقد سمعت منك هذا السؤال كثيرًا.

خيّم الصمت لدقائق طويلة عليهما، ثم رن هاتف «فايز» ليرد بتلهف:

— نعم.. حسنًا.. جيد جدًا.

وأغلق الهاتف والتفت لمحمود الجالس أمامه، وقد أشرق



وجهه، والفرحة تغمره:

— لقد حاصروا العمارة، وتأكدوا من وجوده بالداخل.

•••



* 28 *

اليوم التالي..

جلس «فايز» يتطلع في الخبير الجالس على المقعد المُقابل له. وقد خيّم الصمت عليهما للحظات قبل أن يقطعه الخبير بسخريته المعهودة:

— إذا أردت أن تُقابلني يا باشا، فلا حاجة لإرسال أصدقائك إلى منزلي. فقط أخبرني وسآتي إليك، فنحن أصدقاء قبل كل شيء.

— كيف؟

— هل تغلبت على غرورك أخيرًا لتسأل دون حرج؟

تدخل النادل لحظتها في الحديث بتلك الابتسامة الودودة:

— هل قررتما ماذا تُريدان قبل الأكل؟

كاد «فايز» أن يصيح فيه، لولا أن تحدث الخبير بهدوء:

— حقيقةً، لن ننتظر حتى نتناول الغداء، لكن يمكن إحضار مثلجات لي و..

ثم التفت لـ«فايز»:

— ماذا تطلب يا أحمد باشا؟

— لا شيء.

قالها باقتضاب، فعقّب الخبير:

— إذن، مثلجات لي وعصير ليمون لأحمد باشا لأنه يحتاجه.. ما اسمك؟

— اسمي حسين، أي خدمة أخرى؟

— شكرًا يا حسين، اجعلهم يهتمون بالمثلجات، وأريد معظمها شوكلاتة.

قال الجملة الأخيرة، ليومئ حسين في تأدب وينصرف، لينفجر «فايز» بعدها:

— اسمع، لا وقت عندي لألعابك، إما..

قاطعه الخبير بحدة لم يعهدها عنه:

— اسمع أنت، إذا نظرت حولك ولم ترَ سوى منتصرين، فاعلم أنك الخاسر الوحيد. يجلس على هذه الطاولة اثنان، أحدهما يتحكم في الأحداث.. وهو أنا. أنا من سيتولى الحديث والتهديد هذه المرة، وأنت ستستمع.

— أين هو؟

— لقد سألت سؤالًا قبله، فسأجيبك بالترتيب. أما عن كيفية هروبي الأمس، فأظنك ستراها مُخيبة بعض الشيء. نعم لقد كنت في الشقة، ونعم خرجت من النافذة ونظرت إلى كم الشرطة الموجودة والمُحاصِرة للمنزل، بل والشارع بأكمله.

— كيف هربت إذن؟

سأله وقد غلب غضبه فضوله، ليُجيب الآخر ضاحكًا:

— عندما تُغادر منزلك، فإنك تتأكد من أنك لم تنسَ محفظتك، أو هاتفك، بينما أتأكد أنا أنني لم أنس المفتاح، فإذا نسيت أي شيء آخر يُمكنني الرجوع لأخذه. دائمًا ما أترك باب الرجوع مفتوحًا. منذ أن اعتبرتني الشرطة مُجرمًا، انتقلت من منزلي باحثًا عن شقق ومنازل وعمائر حتى وجدت إحداها بالمواصفات التي أردتها. لقد اشتريت عمارة كاملة بجوار المسجد، ولطالما أيقظني صوت المُكبر المُعلق على المئذنة المُلاصقة لنافذتي، لكني..

— لقد هربت إلى المئذنة.

ضحك الخبير حتى مالت نظارته الصغيرة، فعدلها وقال:

— صحيح، وأنت لا تعلم.. المئذنة على الناصية الجانبية، فأخرج في شارع مختلف تمامًا.

— ومع تأكد الشرطة أنك بالأعلى، قد تقف وسطهم ولا يهتم بك أحد.

ضحك الخبير مُجددًا، وبصوت أعلى حتى أتى حسين ومعه الليمون والمثلجات، ووضعهما دون كلام وانصرف.

— من الطبيعي أن تصل إليّ آجلًا أم عاجلًا، لذا



وضعت خطة إذا ما وصلت إليّ.

— لا أعلم ما يمنعني من القبض عليك الآن؟

أمسك بملعقته، وبدأ بأكل المُثلجات، ما إن أكلها حتى أصدر صوت استمتاع مُبالغًا فيه، ورد بعدها:

— تذكر.. المفتاح، لا بد من طريقة للرجوع.

— بالطبع.. محمود، هذا هو مفتاحك.

— ثق يا أحمد، أمتلك مفاتيح كثيرة.

— أين هو؟

قالها «فايز» أخيرًا بنفاد صبر، ليرد الخبير بهدوء:

— هل تعلم ما هو الرقم القياسي العالمي لشخص استطاع فرد ذراعه للأعلى؟ إنه سبع عشرة ساعة، أي إن لديه حوالي ست ساعات ليكسر الرقم العالمي.

— أمامه ست ساعات؟

— ليكسر الرقم العالمي.

قالها والمُثلجات في فمه، فخرجت الكلمات مُعوجة بعض الشيء، واستطرد:

— إذا أنزل ذراعه في أي لحظة سيموت. فلنأمل ألا تتأخر على إنقاذه.

وجم «فايز» للحظات كأنه يُعالج البيانات أو يتأكد أنه لا يمزح، بينما تناول الخبير ملعقة أخرى مُنتظرًا أن يرد، ولمّا



تأخر في الرد، ترك الملعقة بخيبة أمل، وقال موضحًا:

— اسمع يا أحمد، أمامك الآن أن تذهب لإنقاذه أو تنتظر وتقبض عليّ. بالطبع يمكنك أن تُبلغ الشرطة عن مكاني الآن، وتذهب لإنقاذه، لكنك تعلم أنني سأهرب.

— أو أبلغ الشرطة بمكانه، وأقبض أنا عليك.

ضحك الخبير قليلًا وقال:

— لن أخبرك بمكانه حتى نفترق يا صديقي.. والآن حياته رهن يديك.

قام «فايز» من مقعده بعنف، ليصطدم بالطاولة، ويُسقط المُثلجات والليمون إلى الأرض، ولفت انتباه جميع الموجودين إليه، وقال بنبرة عالية:

— يمكنني أن أجعلك تتكلم.

ليرد الخبير بهدوء:

— بالطبع يُمكنك، لكن هل في الوقت المُناسب؟ اسمعني، إذا أردت أن تعيش ما تبقى من عمرك حاملًا ذنبه، لا تدعني أغادر الآن.

— وما أدراني أنه حي؟

— حقيقةً لا أدري، لكن لنأمل أنه حي، فهو شاب مجتهد لا يجب أن يموت بسبب لعبتنا.

— علمت أنك لن تستطيع خداعي مرة أخرى،



فاستخدمت القوة.

— الناس ليسوا بنفس الذكاء، يجب أن تُعامل كل شخص بما يستحقه.

— سنتقابل مُجددًا.

— أتمنى ذلك بدون مجاملة.

— وقتها لن تنفعك القوة، ولن تستطيع خداعي نفس الخدعة مرتين.

— حسنًا، سأغادر الآن.. انتظر اتصالي في خلال خمس دقائق.

قالها الخبير وألقى لـ«فايز» الواقف أمامه هاتفًا محمولًا مُعقبًا:

— بالمناسبة، هذا هاتفه أعطه له عندما تُقابله.

قام الخبير من مقعده، وتناول معطفه، وبهدوء أخرج من جيب معطفه المحفظة، وترك على الطاولة من المال، ما يُغطي تكاليف ما كسره «فايز»، ونادى على حسين وهو قرب الباب قائلًا:

— أعتذر عن الفوضى يا حسين.. الباقي لك.

•••



* 29 *

جلس «فايز» في سيارته مُنتظرًا مكالمة الخبير، وبعد دقيقتين بالفعل رنّ هاتفه فردّ بسرعة:

— حسنًا، لقد سمحت لك بالمغادرة. أين هو؟

— تظن أنني لا يمكنني أن أخدعك نفس الخدعة مرتين، لكن أنت لا تعلم أنني قضيت حياتي كلها ألعب نفس اللعبة، ولم تفشل قط.

— حسنًا.. أين هو؟ سأستمتع بالحديث معك لاحقًا.

— أظنه في المديرية يبحث عنك.

— من؟

— محمود.. أظنه في المديرية يبحث عنك.

— هل أطلقت سراحه؟

ضحك الخبير قليلًا، ليرد:

— استرجع معي الأحداث، لقد استيقظت على اتصال من رقم محمود صحيح؟

— صحيح، لكن..

قاطعه الخبير:

— وللأسف وجدتني أنا من يتحدث معك بدلًا منه. وأخبرتك أنني اختطفته، وأنه يجب أن تقابلني، وإذا رأيت الشرطة من قريب أو بعيد سـ..



— أنت لم تختطفه من الأساس، أليس كذلك؟

ضحك الخبير مطولًا، وحاول الكلام أثناء الضحك لتخرج الكلمات متقطعة:

— نعم.. سرقت.. الهاتف فقط.

صمت «فايز» للحظات، وبدلًا من أن يغضب على الخبير، أو تعلو نبرة صوته، تحدّث بصوت يغلب عليه الحزن والضعف:

— ماذا تريد؟ فعلت كل هذا، وجازفت أن يُقبض عليك كي تقابلني.. لماذا؟

— لقد كنّا أصدقاء لفترة، وهذه الفترة انتهت.

صمت الخبير قليلًا قبل أن يستطرد بنبرة حزينة:

— لقد كان لقاء الوداع. أردتك أن تعرف أنني لست شريرًا أو مُجرمًا، وإذا نظرت إلى كل ما فعلت بوجهة نظر أكثر حيادية، ستراني قد ساعدت من استطعت مساعدته، ولم أضرّ شخصًا قط.

قالها الخبير وظهر في نهاية الشارع عند مُفترق الطرق كأنه يودعه:

— مساعدتك للمجرمين من البداية، إرهابك للناس في البنك..

قاطعه الخبير وقد علا صوته، وأصبحت لغة جسده أكثر



عنفًا:

— هذا قصور في تفكيرك.. هذا قصور في تفكير الجميع. نفس القصور الذي يدفعهم لمنح الأديب الجائزة لأنه عبّر عن حالة إنسانية كاملة في روايته. أين الحالة الإنسانية نفسها، أين المُلهم، أين المسؤول؟

— تُريدني أن أسألك عما دفعك لفعل ذلك، لكني لن أفعل لأنه لن يُبرر.

هدأت حركة الخبير من تلك المسافة قائلًا:

— ولو سألتني ما أجبتك.. كيف لمثلك أن يفهم مثلي؟

وانتهت المكالمة.

ورفع يده ببطء في إشارة وداع، وخطا خطوة للشارع الجانبي ليختفي من نظره. انطلق «فايز» بسيارته، ووصل للشارع الجانبي في أقل من عشر ثوانٍ.. لكن لا شيء.

•••



* 30 *

جلس «عمار» على المنصة أمام «فايز»، وقال بنبرة إقناع:

— يجب أن تُقابله بنفسك، أنت من عشت الأحداث وبالطبع لديك وجهة نظر أخرى يمكن أن تعرضها عليه.

— لكني أخبرته الحقيقة، ولقد تأكدت الآن؛ الخبير وحيد، الخبير أراد أن يكون صديقه، الخبير ليس سيئًا كما يظن.

— قل له أي شيء آخر.. لا تقل له شيئًا، فقط اسمع منه.. لكن أرجوك لا نُريد مشاكل مع الحكومة، وكذلك نُريد أجر آخر قصة.

لاحظ «عمار» أن نظر «فايز» مُثبت على الحائط خلفه، فاستدار «عمار» ناحية تلك النقطة وقال مُعقبًا:

— اللوحة مائلة، سأعدلها أنا.. لا أعلم ما حُبك لتلك اللوحة، أظن أنه جزء من حبك لتلك الموسيقى غير المفهومة.

— الإطار وليس اللوحة.

— ماذا؟

— الإطار، هو ما أهتم به.. إذا مت، أرجو أن تهتم به، حافظ عليه نظيفًا، ومعتدلًا.

لم يُعقب «عمار»، وإنما اكتفى بالنظر إليه:



— لا تنظر إليّ بتلك الطريقة، سأقابله.

•••

دخل أحمد بعدها بقامته المنتصبة، وألقى السلام على الجميع، ثم تحدث لـ«فايز» متجاهلًا وجود «عمار»:

— اسمع، بشأن ما حدث المرة الفائتة، لم أقصد معظم ما قلت، لكني غير مقتنع بما..

قاطعه «فايز»:

— لا تقلق، لقد نسيت.. تعرف آثار الشيخوخة.

ضحك «فايز» بعدها، وضحك أحمد مُجاملًا، بينما ضحك «عمار» في ارتياح، ولقد استنتج أن هذه البداية لن ينتج عنها مشاكل.. غالبًا.

— اسمع يا أستاذ «فايز»، هدفي من كل ما فعلت أن أقبض على الخبير. فالممثل الذي استطاع تجسيده، وكشف جوانب جديدة من شخصيته، يمكنه أن يُخبرني كيف سيتصرف الخبير إذا نصبت له فخًا مُعينًا.. هل تفهمني؟

— نعم أفهمك، لكن هل أنت واثق من أنه ما زال حيًا؟

— نعم، هناك أحداث بيننا لم أكتبها.. أخبرني أن يوم موته سيوصي بأن يُرسل إليّ بطاقة فيها كل بياناته



وعنوانه لأحضر العزاء.

— متى حدثت القصص السابقة؟

— على مدار عامين تقريبًا، وانتهت منذ خمسة أعوام.

— حسنًا، أنت تريد أن تقترح فخًا أو طريقة تجذب بها الخبير وأخبرك كيف سيتصرف، أليس كذلك؟

— بلى، أريد منك أن تخبرني كيف سيتصرف إذا حاولت..

— حسنًا، الخبير لن يظهر مرة أخرى.

— ماذا؟

قالها أحمد مصدومًا.

— لن يظهر مُجددًا. احترامه لنفسه، ولعمله. ذلك العمل الذي يراه فنًا أكثر من كونه جريمة سيُجبره على عدم الظهور مرة أخرى.

— هل أنت متأكد؟

— نعم، الخبير لن يظهر.

— هل تقصد أن كل هذا بدون فائدة؟

— نعم، حتى القصة الأخيرة كان في ذهني أن نستفزه للخروج والقيام بجريمة أخرى.

— ثم؟

— الخبير يقف بعد كل جريمة ليُشاهد رد فعل الجمهور على تحفته. كنا سنترك الجريمة تمر بسلام، ونقبض عليه بعدها. بالطبع كنا سنختار المكان المثالي، والتغطية المثالية، ونتوقع المفتاح الذي قد يهرب به.. لكن للأسف، الخبير لن يظهر مُجددًا.

غادر أحمد في خيبة أمل، بعدما دفع ثمن القصة وشكرهما، وبعد أن أخبر «فايز» بأنه سيجد خطة تستفزه للخروج قريبًا وسيعود بها، وأنه لم ييأس بهذه السرعة، وأن الخبير مكانه وراء القضبان، وسيحرص على تنفيذ ذلك، وأنه يتمنى أن هذا الرأي نابع مما عاشه، وليس ليخفي أثر الخبير. وما إن غادر أحمد حتى تحدث «عمار»:

— هل تظن أنه لن يظهر مُجددًا؟

— لا أعلم.. لكنك أردت أن أخبره بأي استنتاج غير ما أقتنع به.

— هل أنت واثق منه من الأساس؟

— نعم، لقد أراد أن يُصبحا أصدقاء، وأحمد لم يقتنع.

— صراحةً، هذا أمر غير مُقنع.

— أنت لا تفهم يا «عمار»، لا تفهم أن تعيش طوال حياتك بدون أن يراك أحد، بدون أن يلاحظك أحد، تعيش كالظل الكل يعتاد وجودك، ولا يهتمون بغيابك،



أكثر ما تتمناه أن يبتسم لك أحدهم ويقول «أراك» وإن كان مُجاملًا حتى. أنت تتنقل من هذه لتلك، وأصدقاؤك كثيرون، حتى إنك تزوجت مُسبقًا.. لحياتك قيمة عند أحدهم. هل تعلم لماذا أخبره الخبير بأنه سيُرسل له بطاقة عندما يموت؟ لأنه يعلم أنه لا عزاء لمثله، فلا أهل ولا أصدقاء، يا «عمار» إننا مختلفان، لذا لا يمكنك أن تقتنع بما اقتنعت به.. كيف لمثلك يا «عمار» أن يفهم مثلي؟

•••



* 31 *

«سأموت وحيدًا

قالت عرافة قريتنا ستموت وحيدًا

قد أشعل يومًا مدفأتي

فتثور النار.. وتحرقني

قد أفتح شباكي خوفًا

فيجيء ظلامٌ يغرقني

قد أفتح بابي مهمومًا

كي يدخل لصٌ يخنقني

أو يدخل حارس قريتنا

يحمل أحكامًا وقضايا

يخطئ في فهم الأحكام

يطلق في صدري النيران

فيعود يلملم أشلائي

ويظل يصيح على قبري

أخطأت وربي في العنوان»

هكذا عبّر جويدة في نفس القصيدة عما أشعر به.

سأموت وحيدًا، هذا ما سيحدث. أظن أن هذا ما سيحدث قريبًا.. أو هذا ما سأفعله أنا.

إذا مت الآن، سواء بيدي أو بأي طريقة، ماذا سيتغير؟

لا شيء.. لا شيء سيتغير على الإطلاق. سيدفنني «عمار» وقد تأتي رفيقته الحالية -إذا كان مُرافقًا الآن- وقد يأتي أحمد بدوي.

شعرت للحظة أن أحمد يراني، ولكن يا لغبائي، لقد تعامل معي كجزء من الآلة هدفي الأول أن أستمر في العمل، وأنني قد أكذب عليه ليستمر في تزويدنا بالقصص. حسنًا لقد كذبت عليك هذه المرة يا أحمد، على الأرجح الخبير ما زال يُراقبك، ومن السهل جدًا أن يخرج إذا شعر أنك تفهمته أخيرًا.. لكن لا تستحق أن تعرف ذلك.

ما هذا الظلم؟ ما هذا الثِقل في قلبي الذي يجذبني إلى الأعماق؟ عِشت ألف حياة ولم أستمتع بإحداها.. رأيت الموت مرات، ولم أر الحياة مرة. تجرّعت الظلام دهرًا، ولم أبصر النور لحظة. ذهب الوباء بأصدقائي مرة، وضحيت بنفسي ليعيشوا مرة، وقتلتهم بيدي مرات.

رأيت البشر من الداخل، كما لم يتسنَ لأحدٍ قبلي، رأيت الحقد والظلم والكره في قلب العاشق. رأيت الخوف والضعف والألم في قلب المُحارب. رأيت دمعة الجلاد، وابتسامة المقهور. رأيت كل شيء.. ولا يراني أحد.

لا يمكنني التظاهر أكثر من ذلك، تلك الحياة لا تُريدني..



ولا أريدها. هذه الأرض لا...

توقفت شاشة الكتابة مجددًا ليخرج ذات الصوت الآلي:

«هل تريد البحث عن الأرض؟»

أجفل من الصوت المفاجئ، ثم رد بغضب: «لا.. تعطيل البحث التلقائي».

«هل أنت متأكد من تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة؟»

«نعم»

«تم تعطيل البحث التلقائي لهذه الجلسة».

انتظر قليلًا على وضعه هذا، ثم استأنف:

«أنا ضعيف.. كل شيء أقوى مني.. الحياة، والوحدة، والأرق، حتى هذه الآلة.. حتى هذه الخاصية الغبية.. كل شيء أقوى مني.

أنا ضعيف للغاية.. ضئيل للغاية.. أنا..»

ثم رفع يديه، ودموعه تنساب بهدوء، وقال:

«مسح المذكرات»

«هل أنت متأكد من مسح المذكرات؟»

«نعم»

«بتأكيدك الأمر سيتم حذف المذكرات نهائيًا، هل أنت واثق؟»

شهق بين دموعه، وقال بصوت متقطع:

«نعم»

«تم حذف المذكرات.. هل تريد إنشاء مذكرات جديدة؟»

هنا علا صوت بكائه:

«لا داعي، لا يوجد وقت لذلك».

•••



* 32 *

— لن أمثل قصصًا أخرى، أبحث عن ممثل جديد.

— لماذا؟ أليست تلك التي تتغلب على وحدتك بها؟

— كنت أظن ذلك. الجميع يمكنه أن يفعل ما أفعل، لكني لا أريد أن أفعله بعد الآن.

سكت «عمار» قليلًا، وأردف:

— انسحابك هذا يدفعني للقلق، وأنت تفهم ما أقصد.

— هل تقصد الانتحار؟ لا تقلق، لقد اقتربت النهاية على أي حال.

غمر الصمت المقهى المُعتم إلا من دائرة الضوء الساقطة عليهما، ليقطعه «فايز» أخيرًا:

— اسمع، سننهي الآن أمر مراجعة قصص «فيفتي» ولن أشترك في أي شيء يتعلق بتلك الآلة مُجددًا.

— موجة الاكتئاب هذه ستمرّ، أنا واثق.

— إن شاء الله، أعطني الثلاث قصص.

— عشر دقائق فقط، وسيتم طباعتهن.

— أريد تعليقات المؤلفين كذلك.

— سأكتب لك على كل قصة ملحوظة المؤلف.

•••

جلس «فايز» على السرير، وقال:

«إضاءة القراءة».

مرت لحظات ثم أُضيئت الغرفة بإضاءة نيون قوية، وتحدث «فايز» بصوت مسموع كأن هناك من يحاوره:

— حسنًا، من أين نبدأ؟

وأخرج الثلاث رُزم، وأمسك واحدة منها:

— قصة العجز، قصة الملك والحرس الخائن. لا أصدق أنني كدت أنسى هذه القصة، إنها القصة الوحيدة التي جعلتني الملك.. لقد أمسكت البتار، وركبت الأترب.

ثم أمسك رزمة ورق أخرى:

— قصة أنس، قصة الوحدة.. آهٍ من الوحدة. رأيتها في شبابي كوحش مُقبض يثير الرهبة، فهربت منها، وظللت أهرب طول حياتي. وها أنا أكتشف في نهاية عمري أن ما رأيت كانت صورة الوحش في المرآة، وأنني كنت أهرب منها ناحية الوحش الحقيقي. لو فهم أنس مُبكرًا ما يجب أن يفعل، لاستسلم للأشباح مُبكرًا وأنقذ أخته.. الاستسلام أفضل من القتال بدون هدف.

وأمسك القصة الأخيرة:

— قصة اليأس. قصة الشاب البسيط الذي وجد نفسه حاكمًا، والشعب ينظر إليه على أنه مخلصهم من اللعنة. حاول أن يُغير الغابة، ويفيد أهلها على الرغم من قِصر



حياتهم، حتى ظهر الشر مرة أخرى.

تنهد ببطء، واستطرد:

— أتذكر كل تفاصيل تلك القصة، أتذكر كيف كُتب في الرسالة «إنها الشيطان.. إنها الشر.. إنها النهاية». أتذكر النقوش على حائط الكهف؛ الانفجار الذي يتوسطه 42، والساعة المرسومة، أتذكر شكل الأسطوانة.. بل أتذكر حتى الرقم الذي يفتح الأسطوانة (10427111).. أتذكر نظرة عاصم وهو يقتلني، ولا يهتم سوى بالقرص.

صمت قليلًا، ثم نظر في الصفحة الأخيرة البيضاء، والتي كتب فيها «عمار» سبب مراجعة القصة مرة أخرى، وأمسك قلمه على الفور وكتب في نفس الصفحة بضع كلمات، وسالت دموعه لتسقط على الصفحة، ويختلط الحبر بالدموع.. حتى انتهى الأمر.

•••



* 33 *

جاء «عمار» في التاسعة صباحًا إلى المقهى، وفوجئ عندما وجده مغلقًا. فتح «عمار» المقهى، لعل «فايز» قضى ليلته بالداخل كما فعل في مراتٍ سابقة، لكن «فايز» لم يكن موجودًا. ساوره القلق بعض الشيء، لكن لا يملك شيئًا ليفعله فـ«فايز» لا يحمل هاتفًا محمولًا، وكذلك «عمار» لا يعرف عنوانه.. فاستسلم «عمار» للانتظار. وقد قرر أن يبدأ يوم المقهى، خاصةً أنه قد تأخر عن ميعاده اليومي، فقام بتشغيل الموسيقى، وأشعل البخور، وبدأ في تنظيف الطاولات، وبينما هو على تلك الحالة دخل عليه شاب ثلاثيني، ذو ملامح جامدة وإن كان على جانبها الحزن، وقال بلهجة جادة:

— أستاذ «عمار»؟

— نعم، إنه أنا.

— ياسين السيد.. مباحث.

اتسعت عينا «عمار» على الفور، واستند إلى المنصة ونظره معلق بالبرواز المائل خلف الضابط، بينما يتحدث الضابط فتصل كلماته كأنها من مسافة بعيدة، أو أنها من تحت الماء، لم يكن في حاجة لسماعها، وإن وصل لأذنيه بعض منها رغمًا عنه:



— أستاذ «عمار».. البقاء لله.. الأستاذ «فايز».. انتحار.. أغلب الظن.. مشرحة.. منزله.. الوصية.

تثاقل جسد «عمار» على المنصة، ولأول مرة لم تتحمل قدمه ذلك الوزن، وكاد أن يسقط لولا أن أمسك الضابط بذراعه، وأجلسه على الكرسي الذي طالما جلس عليه أمام «فايز».

— أستاذ «عمار».

قالها الضابط بلهجة أكثر صرامة جذبت انتباهه، واستطرد:

— أغلب الظن أنه قد انتحر مُستخدمًا الأقراص المُنوِّمة، لقد كانت الصفحة الأخيرة المفتوحة على جهازه، صفحة البحث عن الجرعة القاتلة من المُنوِّم.

هزّ «عمار» رأسه في تفهم، فاطمأن الضابط أن «عمار» قد فهم ما قال، واستطرد:

— لم يترك سوى رسالة واحدة موجهة إليك، كان من المفترض أن نفتحها ونقرأ ما فيها، لكن بدافع من احترامي لوصيته، سأجعلك تقرأها قبلي.. أو معي.

وأخرج الضابط ورقة من جيبه، مطبوع في السطور الأولى منها مشهد نهاية قصة عمر، واضح من الآثار عليها أن «فايز» قد قطعها من القصة ليكتب في المُتبقي منها،



ومكتوب تحتها بخط مرتجف:

«هذا ما أردته يا «عمار».. هذا ما أردته لعدة سنوات، فلا تحزن.. هذا أفضل على الأقل بالنسبة لي. لقد عشت أكثر مما أستحق.. أكثر مما أريد حتى هزمني الملل، ودمرتني الوحدة. حاولت الحياة كثيرًا، لكن من الواضح أنه يجب تجربة الموت قبل محاولة الحياة.

الوحدة تخللت في كل شيء أتعامل معه، تخللت سريري فمنعت عني النوم، تخللت قلبي فمنعت عني الفرح، تخللتني فمنعتني من الحياة. أنت لا تعرف كيف أقضي يومي، يوم متكرر لا أحد يراك فيه.. مجرد شخص عابر بالنسبة للجميع.

كنت أحسدك طوال الوقت على حياتك لأنك شاب.. ليس لأنك ستعيش طويلًا، وإنما لأنك ما زلت تحتفظ بتلك الشعلة، بذلك الحماس والتهور. قد لا تُصدق، لكني كنت كذلك ذات يوم، ولقد كان جدي كذلك ذات يوم.. لكن صرت أنا إلى ما صار إليه جدي، مهزومًا من الجميع.. فلا تكن مثلنا.

لست شخصًا بتلك الأهمية لأكتب كلمات أخيرة يقرأها الناس بعدي، لكن لا يهمني من هذا العالم الآن سواك. لقد وجدت راحتي، فحاول أن تجد راحتك وتستمتع



بالحياة، ففيها جوانب ممتعة عِشتها في شبابي، وأرى أنه ما زال بإمكانك التمتع بها. وإياك أن تموت وأنت حي، العجوز هو من لا يستطيع الحلم، من لا يستطيع الحياة.. ليس من لا يستطيع الحركة.

ستجد في المقهى تنازلًا كاملًا عن كل ممتلكاتي، قد وضعته بالأمس قبل النهاية. المقهى لن تجده ضمن ممتلكاتي، لأني لم أوثق أيًا من عقدي البيع السابقين.. تقنيًا ما زال ملكك كله، ولم أشترِ منك شيئًا.

وإذا أردت نصيحتي، فعد لطليقتك.. هي الوحيدة التي تعرف حقيقة تلك الندبة. أقصد هنا ندبة روحك لا ندبة كفك. لا تُكمل حياتك وحيدًا، لأنها قاسية لن ترحمك، ولن ترأف بوحدتك، بل ستعاقبك على كل صديق فرّطت فيه، وكل حبيب تخاذلت عنه، ستعاقبك على كل حلم نسيته ذات يوم.

لا أعلم أي تأثير فراشة قد يولده انتحاري، لكن ما أنا متأكد منه، أنه لن يتجاوز هذه الغرفة. ولعل هذه النهاية كئيبة ووحيدة كالقصص السابقة، التي أظنها تليق بي.

أرى أن مفعول المُنوِّم قد بدأ، والآن يمكنني النوم.. أخيرًا».

ترك «عمار» الورقة على المنصة، ونظر للضابط ليسمع ما



يُريده:

— حسنًا، سآخذ أنا هذه الورقة. تم نقل الجثمان للمشرحة بواسطة أحد أطباء الطب الشرعي بعد معاينته في شقة المرحوم، وسيخرج التقرير الرسمي خلال يومين.

— بالنسبة لإجراءات الدفن؟

— للأسف، لن يمكنك أن تدخل في تلك الإجراءات لأنك لست من العائلة، ولم يوصِ «فايز» بأي شيء يتعلق بذلك. قد أبلغك بميعادها إذا أتيحت الفرصة.

غادر الضابط المقهى، بينما تعلق نظر «عمار» بالبرواز المائل.

•••



* 34 *

بعد شهر..

وقف «عمار» خلف المنصة، وقد انشغل بترتيب الكؤوس، وأنشودة السعادة المُفضلة لدى «فايز» تصدح في المكان، والناس متفرقون على الطاولات. وقع نظر «عمار» على البرواز مرة أخرى، فذهب ناحيته، ثم وقف على كرسي قصير ليأخذه ويذهب به للمنصة حيث سينظفه ويعود ليعلقه مرة أخرى. جذب انتباهه ذلك الشاب الثلاثيني الذي دخل المقهى، وأخذ يبحث بعينيه بين الموجودين حتى استقرت عيناه على «عمار»، فذهب ناحيته مباشرة. وبمجرد توقفه عند المنصة قال بلهجة شخص اعتاد على تكرار الجملة:

— أنس عمر.. ضرائب.

مدّ الرجل يده، بينما وجل «عمار» للحظات ثم صافحه، واستطرد الرجل بنفس اللهجة:

— إذا سمحت، نُريد السجل الضريبي، والر..

قاطعه «عمار» بتوتّر:

— تُوفيَ صاحب المقهى منذ فترة قصيرة، وما زلت أبحث عن الأوراق.

— هل سألت الورثة؟



— لا يوجد ورثة.

— وبأي حق تُديره الآن؟

وأمسك الشاب هاتفه، في إشارة بأنه سيُجري مكالمة يرفع فيها الأمر للمسؤول، فاستوقفه «عمار» بتوتّر زائد:

— لقد تنازل لي المتوفي عن المقهى، انتظر للحظات وسأحضر لك التنازل.

أحضر «عمار» كأسًا للشاب، وملأها بأحد العصائر بدون تركيز، ثم وضعها أمامه مُتذكرًا كيف تم إغلاق مقهى أطلانطس المُنافس منذ فترة في زيارة مماثلة. ثم توجّه مباشرة نحو غرفة الآلة الجانبية، وأمسك ذلك المظروف الذي لم يفتحه منذ أن مات «فايز». قطع طرفه، وخرج من الغرفة وهو يبحث بين أوراق المظروف عن التنازل حتى وجده، أخرجه وهو يرفع رأسه، وقال بارتياح:

— لقد وجدته يا أستاذ أنس.

نظر في المكان الذي تركه فيه، لم يجده. شعر بالغموض في البداية، ثم شعر بالارتياح لظنه بأن الأمر قد انتهى. بعد وقت قليل، عاد «عمار» لتنظيف البرواز مرة أخرى ثم علقه في مكانه، متذكرًا حب «فايز» لهذا الإطار، واهتمامه به.

نزلت الظهيرة، وعلت الشمس والمقهى شبه خالٍ إلا من صديقين جلسا ليتناولا الغداء. فجلس «عمار» بدوره خلف

المنصة ليستريح. بدأ حديث عقله بالتعجب من تحمل «فايز» لهذا العمل كل يوم، إنه مُتعب على كل المستويات، ثم بدأ باسترجاع بعض من أحداث اليوم بشكل متقطع؛ «تنظيف البرواز.. موظف الضرائب.. فتح الظرف».

نظر للظرف الموجود بجواره خلف المنصة، وأفرغ محتوياته، وأخذ يُحدث نفسه بصوت منخفض وهو يُقلب بين الأوراق:

— التنازل.. عقد بيع نصف المقهى الأول باسم «فايز» ولم يوقع عليه حتى، وعقد بيع نصف المقهى الثاني بدون اسم، لم يشترِ مني وإنما أعطاني المال بدون مقابل.. صورتنا في عقد قراني..

ثم أمسك ورقة بيضاء بها آثار نقاط وقد جفت، وأخذ يقرأ ما فيها:

«السبب: هناك رسائل مخفية أو شيء من هذا القبيل».

— إنه خطي!

قالها باستنكار، وبصوت أعلى. ثم نزل بنظره للحروف والأرقام المنثورة بالأسفل والمكتوبة بخط آخر:

«1 ألف.. شين.. نون

11 زاي.. لام

7 خاء.. غين



2 باء.. صاد.. هاء»

•••

صمت قليلًا، ثم نظر في الصفحة الأخيرة البيضاء، والتي كتب فيها «عمار» سبب مراجعة القصة مرة أخرى، وأمسك قلمه على الفور وكتب في نفس الصفحة بضع كلمات، وسالت دموعه لتسقط على الصفحة، ويختلط الحبر بالدموع.. حتى انتهى الأمر.

•••



* 35 *

تجمّد «عمار» أمام المنصة للحظات، وأخذ يرتب أفكاره في محاولة لفهم ما يحدث:

«الخبير؟ هل هذه الأرقام جزء من شفرة من تلك الشفرات في القصص؟ لماذا يكتبها «فايز» قبل انتحاره؟ بل ولماذا يتركها لي؟ هل حل الشفرة الخبير فعلًا؟ الأربعة أرقام المكتوبة تكون كلمة «الخب» هذا ما جذب انتباهي عندما وقعت عيني عليها.. لا بد أن هذا ما جذب انتباه «فايز» أيضًا وجعله لا يُكمل الشفرة. إذا أُرسل الخبير شفرة لـ«فايز»، فهل كانت دافعه للانتحار؟ أم حاول إنقاذه؟ لماذا قد يتواصل الخبير مع «فايز» من الأساس؟»

جلس «عمار» على الكرسي الذي طالما جلس عليه أمام «فايز» واستأنف عقله:

«إذا أثبتنا فرضية تواصل الخبير مع «فايز»، لا بد أن نعرف سبب ذلك. ولنعرف سبب ذلك، لا بد أن نُحدد إذا كانت المرة الأولى أم.. ركزا من البداية.

إذا افترضنا أن الخبير تواصل بالفعل مع «فايز»، لا بد أن نعرف سبب ذلك. ولا يمكن معرفة سبب ذلك إلا من خلال الخبير أو «فايز»، وكلاهما غير مُتاح الآن. إذن



سنبحث عن كيفية التواصل، ربما نكتشف نص الرسالة، وبالتالي نعرف دوره في انتحار «فايز» أو متى راسله أول مرة.

فلنسترجع أحداث هذا اليوم؛ «فايز» كان مُحبطًا ومكتئبًا، لكن كالعادة تواجد في المقهى في ميعاده الطبيعي. أخبرني أنه لن يُمثل قصصًا أخرى؛ وهذه كانت آخر مرة أُقابله. لا أُعلم ما حدث في باقي يومه.

هناك حلقة مفقودة. لقد ترك لي «فايز» هذا المُغلف قبل انتحاره، وهذه الورقة أراد بها أن أفهم أنه تواصل مع الخبير قبل انتحاره، أقصد أن الخبير تواصل معه قبل انتحاره. ركزا ركز!

من البداية مُجددًا. الخبير تواصل مع «فايز».. «فايز» ترك لي رسالة بها شفرة كالتي استخدمها الخبير في قصصه على ورقة..»

توقف «عمار» فجأة، وخرجت الكلمات على لسانه:

— على ورقة من قصص الخبير. لقد قرأ تلك القصص لأن «فيفتي» طلب مني ذلك، لقد نسيت.. هذا آخر شيء كان يفعله. ولهذا كُتب على هذه الورقة بخطي، لا بد أنني كتبت أسباب مراجعة المؤلفين للقصص.

ارتفع صوته بالتدريج كلما استنتج أمرًا جديدًا، ثم نظر



في الورقة نظرة قصيرة ثم صاح ببهجة:

— نعم.. رسائل مخفية.. هذا السبب.

التفت الصديقان الجالسان في نهاية المقهى إلى «عمار»، والذي اعتذر منهما بهدوء قبل أن يطلب منهما المغادرة لأنه مضطر أن يُقابل طبيبه لأنه استيقظ اليوم ليجد تلك الندبة في يده ولا يعلم سببها.

غادر الصديقان ساخطين على الإدارة الجديدة، مقارنين بينها وبين الإدارة السابقة التي عاملتهما أفضل معاملة. وفور مغادرتهما، دخل غرفة الآلة باحثًا عن شيء ما.. ظل فترة لم تقل عن الربع ساعة، ثم خرج مُبتسمًا ابتسامة النصر مُمسكًا برزم ورقية ألقاها على المنصة. ثم أطفأ إضاءة المقهى إلا المصباح الذي يعلو المنصة، وجلس على كرسيه، وبالتالي أصبح في مركز دائرة الضوء.

أمسك بورقة «فايز»، وضغط بها على جدار زجاجة عصير موجودة أمامه، فالتصقت بفعل بخار الماء. ثم أخذ يبحث عن تلك الأرقام الموجودة فيها، وتحدث بصوت هامس كأنه يُخبر الرزم سرًا:

— أتذكر أن فيفتي أراد مراجعة الثلاث قصص، السؤال الآن ما القصة التي كان دافعها الأسرار؟ إذن لا مفر من البحث.



أمسك الرزم، وبدأ بالبحث عن الأرقام، وهو لا يتذكر هل كُتبت بالحروف أم بالأرقام؟ أخذ يُردد الأرقام الأربعة التي كتبها «فايز» أثناء بحثه. انتهى من قصة أنس والفنار، ودخل على قصة الملك والحرس الخائن، ومجددًا لم يجد شيئًا. أمسك بقصة عمر الخالد والغابة، وقال:

— كان يجب أن أبدأ بآخر قصة، دائمًا أجد ما أبحث عنه في آخر الـ..

قطع الجملة كأنه أدرك سخافة تحدثه إلى رزمة من الورق، واستأنف البحث في الورق بعينيه عن الأرقام بدون قراءة، حتى وقعت عيناه على (36810)، فصاح على الفور:

— وجدتك!

وبنظرة سريعة على الأرقام الأربعة التي كتبها «فايز»، لاحظ أن الأربعة أرقام مختلفون. فاستأنف البحث وقد تسرّب اليأس إلى نفسه، حتى اقترب من الصفحات الأخيرة، وكلما اقترب، وجّه اللوم لنفسه أكثر على التفكير بهذه الطريقة الغبية، فمن سيُرسل شفرات إلى..

انقطع صوت عقله دفعة واحدة عندما رأى أرقامًا مكتوبة بالحروف، ولحسن الحظ كانت كل كلمة في سطر منفرد، فجذبت انتباهه وقرأها أكثر من مرة:

•••

عاد «فايز» إلى جلسته مرة أخرى، وكعادته نظر إلى القمر الذي لم ينظر إليه ولو لمرة واحدة هذه الليلة. تفاجأ ممّا رأى، فالليلة غير مقمرة.. لقد غاب القمر أخيرًا. أسرع إلى الكهف مُمسكًا بشعلة في الطريق، دخل الكهف وقصد النقش الأخير الذي سيرفع عنهم اللعنة. ثبّت الشعلة في مكان أقرب للغز، وأخرج الأسطوانة. لقد كان اللغز كلمات بسيطة بالنسبة لأي شخص يستطيع القراءة، لكنهم لم يستطيعوا.. نظر مرة أخرى إلى النقش:

«في ليلة يغيب عنها القمر
من يملك أمرها
يمكنه أن يجازف بالخطر
ويحاول فتحها
واحد
أحد عشر
سبعة
اثنان
أربعة
عشرة»



•••

أمسك «عمار» قلمه مُبتسمًا قائلًا:

— هذه هي باقي الشفرة، لا ينقصنا إلا أن نعلم طريقة التشفير وفكه. لقد استخدمه الخبير لإرسال رسائل لأحمد في قصصه، لكني لا أتذكرها.. تبًا لهذه الذاكرة.

ثم دخل غرفة الآلة، لكن في الظلام هذه المرة وأحضر مجموعة ثقيلة من الرزم قد رُتبت فوق بعضها البعض ثم ألقاها على المنصة فأصدر الاصطدام صوتًا عاليًا، وأثار موجة من الغبار انقشعت سريعًا تحت ضوء المصباح، ثم وضع القلم بجوارها. وأخذ يبحث بين القصص مُحدثًا نفسه:

— عندما اختطفه بالشوكلاتة؟ لا.. عندما حاصروا المنزل؟ لا أظن.. القيصر؟ ربما.. سرقة البنك.. ربما أيضًا.

أمسك «عمار» بقصة القيصر في البداية، وأخذ يُقلب الصفحات سريعًا حتى استقر على إحداها، فجذبها بحرص ليقطعها من الرزمة، ويقرأها بصوت مسموع تاركًا أجزاء، وقارئًا أجزاء أخرى:

•••

«آسف يا فندم، إنها الحماسة. لقد تذكرت شيئًا عندما



قلت القيصر. سأقرأ عليك: «شفرة القيصر هي وسيلة لتشفير النصوص، هذه الشفرة شاع استخدامها قديمًا ويُعتقد أن يوليوس قيصر كان أول من استخدمها وكان ذلك بين 58 ق.م حتى 51 ق.م. وخوارزمية التشفير كانت بسيطة جدًا، إذ إنه كان يبدل الحرف المُراد تشفيره بالحرف الثالث الذي يليه».

•••

ارجع لحرف الألف مجددًا باعتبارها سلسلة مغلقة.. الياء بعده الألف، ثم الباء. إذن نستبدل الواو بحرف الباء.

•••

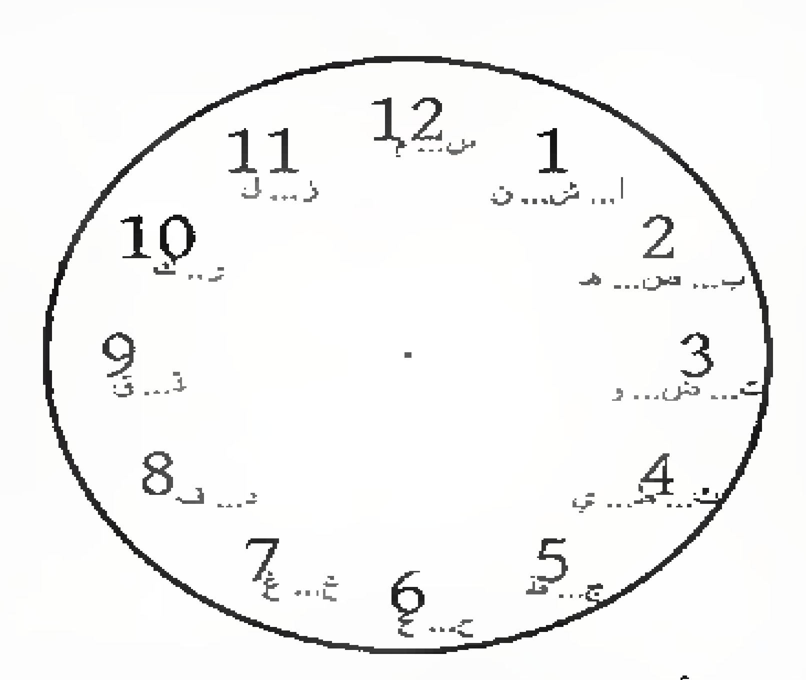
لقد سألتك لماذا جعل الميعاد الساعة السابعة، حسنًا هذه هي الإجابة. لقد أجرى تعديلًا على شفرة القيصر، لا يستبدل الحرف بالحرف التالي له بثلاثة حروف، وإنما الحرف التالي له بسبعة حروف».

•••

— ليست هذه الشفرة، إنها القصة الأخرى. الخيار الأخير مُجددًا هو الخيار الصحيح.

بدأ «عمار» في تصفح صفحات القصة بسرعة حتى وقعت عيناه على تلك الصورة..





— إنها هي، أخيرًا.

أمسك قلمه مرة أخرى، وبدأ في حل الشفرة بصوت مسموع:

— كما بدأ «فايز»

1 ألف.. شين.. نون

11 زاي.. لام

7 خاء.. غين

2 باء.. صاد.. هاء

ثم 4 ثاء.. طاء.. ياء

10 راء.. كاف

نظر «عمار» نظرة سريعة على الحروف الناتجة، ثم قال يبطء وهو يُجمع الحروف:

— ا ل خ ب ي ر.. الخبير.. إنه الخبير بالفعل.

صمت قليلًا بين شعوري الفرحة بالاكتشاف، والعجز عن



الفهم ثم قال بصوت هادئ:

— لقد تواصل الخبير مع «فايز».. أو تواصل «فايز» مع الخبير.

•••



* 36 *

بدأ عقل «عمار» في التحليل مرة أخرى:

«هل ينبغي أن أتواصل معه؟ إنه مجرم، ولا أظن.. ركز! لا قيمة لظنك، نحن نفكر بعقل «فايز» الآن.

«فايز» لن يرفض الشخص الوحيد الذي رآه، ربما كان الأمل الوحيد الذي ظهر في موجة اليأس تلك. ربما عدم رد الخبير عليه، أو رده عليه بصورة مخيبة هو ما قتل ذلك الأمل ودفعه للانتحار. ربما لم يحاول التواصل معه من البداية.. لا أعلم. لا يمكنني التفكير مثلك يا «فايز».. لقد جعلت الأمر مستحيلًا بعد أن قلت

«كيف لمثلك أن يفهم مثلي؟»

ركز! فلنفترض الشيء وعكسه لتغطية جميع الاحتمالات. إما أن تواصل «فايز» معه أو لا. في حالة التواصل، لا أظن أن هناك طريقة سوى مدونته التي أخبرني «فايز» سابقًا أنها ما زالت مفتوحة على الرغم من عدم نشرها لأي تدوينات جديدة منذ سنوات. أما إذا لم يتواصل معه، فلا أظن أن هناك طريقًا في هذا الاحتمال.. سيكون غيبًا لا يمكنني توقعه. ما أسوأ شيء قد يحدث إذا تواصلت معه على أي حال؟»

قام «عمار»، ودار حول المنصة، وغاب تحتها لثوانٍ، ثم



وقف مجددًا مُمسكًا في يده بكرة معدنية في حجم كرة التنس، ثلثها تقريبًا أسود والباقي أبيض، ولها قاعدة مستطيلة من نفس اللون. وضعها «عمار» على المنصة أمامه بعد أن عاد إلى مقعده، وقال:

«تشغيل»

فصدح الصوت الآلي:

«جاري التشغيل»

ثم خرج من الثلث الأسود أشعة حمراء كتلك الموجودة في غرفة «فايز». تداخلت الأشعة ليظهر شعار الشركة المُصنعة.

«خفض الصوت بنسبة 05%»

رد الصوت بحجم أقل يُناسب هدوء المقهى الفارغ:

«تم خفض الصوت»

«البحث»

«برجاء تحديد الكلمات الـ...»

قاطعها في نفاد صبر:

«مدونة الخبير»

«مائة وتسعة مواقع هل تريد البحث بأكثر المنشورات شعبية على تلك المواقع؟»

أمسك «عمار» القصص، وانتقل بين صفحاتها بسرعة



حتى قال:

«الجريمة الأفضل، هي الجريمة المحتوية في باطنها على أصل ودلالة»

«تم العثور على نتيجة واحدة».

«فتح الموقع».

فُتح الموقع أمامه، وكما أخبره «فايز»، فإن التدوينات توقفت منذ سنوات. تردد قليلًا، ثم قال بحزم:

«إرسال رسالة»

«هذا الأمر يتطلب كلمة مرور»

«هل يمكن تخمينها؟»

«لا يمكنني تخمينها، لكن إذا أردت شراء برنامج..»

قاطعها:

«لا.. سأكتبها»

في جزء من الثانية تبدّلت اتجاهات الأشعة لتظهر الشاشة وعليها رسالة مستطيلة مكتوب في وسطها بخط كبير:

«تواصلت معك ثلاثًا.. فتواصل معي ثلاثًا

€€€€ - €€€€ - €€»

ابتسم «عمار» للحظة، قبل أن يقول بصوت هادئ:

«إغلاق».



* 37 *

جلس «عمار» أمام المنصة، وقد ثبّت الكرة المعدنية أمامه، وفعّل خاصية تصوير الفيديو. تنحنح قليلًا أمامها، ونظر للمصباح بالأعلى ليتأكد أنه في قلب دائرة الضوء، ثم قال:

«بدء التسجيل»

«في البداية؛ أنا لم أقرر لمن سأرسل هذا التسجيل، بل لم أقرر إذا كنت سأستخدمه من الأساس أم لا. لكن الغرض الرئيسي له هو أن يعمل كبوليصة تأمين للحفاظ على حياتي.

هناك ثلاثة مستلمين محتملين؛ الخبير، وأحمد بدوي، والشرطة. في حالة الخبير، لا أظنني أحتاج للشرح. وأحمد بدوي، يعلم جزءًا مما سأقول. أما الشرطة، فالشرح التالي موجّه إليها.

بدأ الأمر عندما تواصل معي «علي فيفتي» وهو سمسار مشهور، يعمل كوسيط في أي شيء ولأي شيء. وعرض فيفتي أن يتوسط لدى الكتّاب الذين يعرفهم في أن يختبروا قصصهم عندي، وفي المقابل يأخذ عمولة.

بالطبع كانت صفقة جيدة، وتوالت القصص بمعدل سريع. ففي فترة قصيرة، أرسل لي ثلاث قصص؛ الأولى



عن طفل اسمه أنس، والثانية عن ملك وحروب، والثالثة عن عمر الذي وجد نفسه في منطقة تحكمها قوانين أخرى. لسنا في حاجة للتعمق فيهن، فستجدون نسخًا منها في المقهى إذا حدث شيء.

حتى الآن، لم يحدث شيء مميز سوى اختفاء علي، والذي لا يُعتبر حدثًا مميزًا نظرًا لسفره الدائم. الأحداث المميزة بدأت عندما تواصل معنا أحمد بدوي، وهو ضابط على المعاش الآن ولا أعلم رتبته السابقة. أحمد قد تواصل مع العديد من أصحاب الآلات مثلنا في البداية، وكان سيتواصل مع العديد بعدنا في سعيه المستمر للقبض على الخبير.

أيًا كان، كتب أحمد قصصًا تصف الأحداث التي اشترك فيها الخبير. وأخذ يبحث عن شخص يستطيع التفكير مثله، لينصب فخًا للخبير في المستقبل، ويخبره ذلك الشخص بكيفية تصرف الخبير. وقد كان «فايز» -رحمه الله- ذلك الشخص، وأظنه قد مات بسبب ذلك.

لماذا أجلس أمامكم اليوم بهذه الصورة؟ لأنني اكتشفت شيئًا أظن أن «فايز» اكتشفه قبلي. اكتشفت كيف أتواصل مع الخبير. وفي الليلة التي توصّل «فايز» لهذه الطريقة.. مات. أُعلم أنه لم يكن سعيدًا في حياته،



وأعلم أن الأمر يبدو غير محتمل خاصة أنه قد أرسل لي رسالة الوداع، وأنا واثق أنها ليست مزورة.

لكن هناك احتمالًا أنه لم ينتحر.. بل قُتل.

سواء كنتم الشرطة، أو الخبير، أو أحمد، فكلكم تعلمون عن الجرائم أكثر مني. فدعوني أسألكم سؤالًا: هل من المعقول أن في اللحظة التي يعرف فيها «فايز» طريقة التواصل مع الخبير يموت، وتختفي الطريقة التي اكتشف بها الأمر، وتختفي المحادثات بينهما، ونجد أن آخر شيء على الشاشة هو البحث عن الجرعة القاتلة من المُنوِّم؟ هل هذه صدفة؟

ثم من يبحث عن الجرعة القاتلة؟ أي شخص كان سيأخذ كل الحبوب التي في حوزته، إلا إذا أراد أن يرسخ فكرة الانتحار لدى الشرطة كي يبعد التهمة عنه.

على وجه الدقة لا أعلم مدى أهمية كلمة سر التواصل مع الخبير، لكن من الواضح أن هناك من قد يقتل أي شخص يعرفها.. أو يقتل أي شخص ليعرفها.

كي لا أطيل عليكم، اكتشفت أن في قصة من القصص الثلاث التي أرسلها لنا فيفتي هناك شفرة حلها «الخبير».

لم تكن صدفة بالطبع، فأسلوب التشفير نفسه اعتمد على توزيع الحروف على اثني عشر رقمًا في تشكيل يُشبه



الساعة.. نفس أسلوب التشفير الذي استخدمه الخبير من قبل مع أحمد.

دخلت كي أراسل الخبير على أنه قد قضى مع «فايز» الساعات الأخيرة من حياة الأخير، هذا لأن الصورة لم تكتمل وقتها في عقلي. المهم، وجدت كلمة سر مكونة من ثلاث كلمات؛ الكلمة الأولى مكونة من حرفين، والثانية والثالثة مكونتان من أربعة حروف. ومكتوب في أعلاها أنه قد أرسل لي ثلاثًا، فيجب أن أجيب بثلاث.

كنت أتوقع حتى تلك اللحظة أن الخبير قد أرسل لنا قصة عمر فقط، لكن فهمت من الرسالة أنه من استأجر فيفتي من البداية، وأنه من أرسل الثلاث قصص.. وأنه يريدني أن أحل شفرة في كل قصة كي أدخل كلمة السر.

استغرق مني الأمر أربعة أيام، لكن في وصف سريع لما حدث؛ قرأت القصص التي حدثت بين الخبير وأحمد، وراجعت أساليب التشفير التي استخدمها الخبير. كان الأسلوب الأول هو شفرة القيصر، وهو أن نبدّل كل حرف في الكلمة بحرف آخر يليه بعدد ثابت من الحروف. أما الأسلوب الثاني كان في توزيع الحروف على ساعة وتخمين كلمة من الحروف التي ظهرت من الأرقام. أظن



أن الأمر ليس معقدًا بالنسبة لرجال الشرطة.. وعلى أي حال فقد تركت أوراقًا تشرح كل هذا مع القصص.

نسيت أن أسأل سؤالًا هامًا يجب أن يمرّ في أذهانكم الآن: وهو لماذا أرسل لنا الخبير شفرات؟ أو بصيغة أخرى، كيف علم الخبير أننا سنقوم بتمثيل قصته، وأن «فايز» سينجح فيها قبل أن يزورنا أحمد من الأساس؟

لقد سألت نفسي هذا السؤال مرارًا، ولم أجد سوى إجابة واحدة منطقية: وهي أنه كما أخبرني «فايز» مُسبقًا؛ فإن الخبير ما زال يراقب أحمد على أمل أن يسعى لمخاطبته. وبالتالي عرف الخبير أن أحمد قد جرّب العديد من الآلات مُسبقًا. أظن أن الخبير قد تواصل مع أصحاب الآلات، وأنا أعلم أن كل المنافسين يستعينون بممثلين وممثلات شباب لا يمكنهم فهم طبيعة الخبير، وبالتالي لم يتبقَ سوى العجوز الوحيد «فايز».. هذا تحليلي الوحيد للأمر.

على أي حال بدأت قراءة القصص تبعًا للترتيب الذي أرسلها به الخبير. وكان اللغز الذي استغرق الكثير من الوقت، هو تحديد الكلمة المُشفرة في كل قصة.

بدأت بقصة أنس، أبحث عن كلمة مكونة من حرفين تصلح لأن تكون شفرة. وبالفعل؛ في القصة يوجد فنار،



وكان عليه حروف صخرية كبيرة لم يستطع أنس قراءتها لغياب القمر في تلك الليلة، ولكن أمه أخبرته أنها «كم» ويتبعها رقم واحد. ولم تؤثر على الأحداث مطلقًا وكأن المؤلف حشرها حشرًا في الرواية.

كانت سهلة، فقد كانت شفرة القيصر بتحريك حرف واحد.. وبالتالي تصبح الكاف لامًا، والميم نونًا.. أي أن أول كلمة لن.

القصة الثانية كانت أكثر صعوبة، واستغرقت وحدها يومين حتى يئست منها وقرأت القصة الثالثة. القصة الثالثة وجدت بها شفرتين، الأولى كانت ترجمتها الخبير. والثانية كانت (01863)، والتي كانت كلمة السر لباب الكهف. وعند توزيع الحروف على الساعة نجد أن العشرة راء أو كاف، والثمانية دال أو فاء، والستة حاء أو عين، والثلاثة تاء أو ضاد أو واو.

حاولت مرارًا أن أكون منها كلمة حتى فهمت أن الأرقام معكوسة، وبالتالي سيكون الترتيب:

ت.. ض.. و..

ح.. ع..

د.. ف..

ر.. ك.



نعم، هي «وحدك». أصبح لدينا «لن» متبوعة بكلمة من أربعة حروف وبعدها «وحدك».. كوّنت كذلك من نفس الحروف كلمة «تحفك»، لكن «وحدك» مرتبطة أكثر بفايز.

بالطبع عدت مجددًا للقصة الثانية، والتي لا أعلم كيف حلها «فايز» في ليلة واحدة. في النهاية عندما لم أتوصل لشيء، بدأت بالتعامل بأسلوب أكثر غباءً. في البداية بحثت عن مجموعة أرقام في الرواية، ولم أجد. فاستنتجت أن الشفرة تعتمد على الحروف، أي أنها شفرة القيصر. فتبقى أن أبحث عن رقم لأتحرك به وقد كان «سبعة» عدد من هربوا مع الملك. تبقى حينها أن أجد الكلمة المُشفرة. فرزت كل الكلمات المكونة من أربعة حروف، وجربتها كلمة كلمة بتحريك الحرف بالذي يليه بسبعة حروف. ولكن لم أخرج بنتيجة.

لفت نظري وقتها اسم الملك، حسن السابق. فقفزت فكرة مجنونة في رأسي، لماذا لا يُبدل الحرف بالحرف الذي يسبقه بسبعة حروف؟ وبالتالي أعدت التجربة باستبدال الحرف بالحرف الذي يسبقه بسبعة حروف على كل كلمات القصة التي تتكون من أربعة حروف.. مجددًا لم أستنتج شيئًا.



جاءتني فكرة ثالثة، وهي أن الجملة ستكون «لن .... وحدك» أي أن الجملة بلهجة المُخاطب، وبالتالي على الأغلب ستكون فعل يبدأ بحرف التاء. عدت مجددًا للكلمات الناتجة عن تحريك الحرف سبعة حروف سواء للأمام أو للخلف، لأبحث عن الكلمات المنتهية بحرف التاء، لعله عكس ترتيب الحروف كما فعل مسبقًا.

وجدت كلمة مميزة بالفعل تنتهي بحرف التاء، كلمة «بتار» وهو اسم سيف الملك. حرف الراء يسبقه حرف التاء بسبعة حروف. بالفعل عند استبدال كل حرف بالحرف الذي يليه بسبعة حروف أصبحت «لمكت» أي أن عند عكسها تُصبح «تكمل».. وما جعلني متأكدًا أنني وجدت كلمة «أترب» في القصة، وهي كلمة بنفس حروف البتّار، لكن بترتيب مختلف. كأن الخبير يُخبرنا بأن نهتم بالحروف بدون ترتيب.

إذن كلمة السر لإرسال رسالة لموقع الخبير هي: «لن تكمل وحدك».

لماذا؟ لماذا أشرح كل هذا؟ كان من السهل أن أخبركم أنني اكتشفت كلمة السر وهي «لن تكمل وحدك». أنا لم أفعل ذلك لأنني أردت أن أخبركم أن من فعل كل ما فعلت، وفك كل تلك الشفرات -ربما بطرق أكثر ذكاءً- في

ليلة واحدة، مات فور اكتشافها. ذلك الرجل الذي استطاع التفكير بعقل الخبير ليحل تلك الشفرة في ليلة واحدة، مات. ذلك الرجل الذي وصل لارتباط شخصي وروحي بالخبير دون أن يقابله مرة واحدة.

الشخص الذي اقترب من الخبير، والوحيد الذي أصبح بإمكانه الوصول إليه قتله الخبير. قتله الذي قال أنه لم يقتل في حياته، والذي رفض أن يصدق أحمد عندما أخبره أنه مجرم. قتله الخبير بعد استحواذه عليه كما استحوذ على أحمد من قبل وجعله مهووسًا به، ومستعدًا أن يفعل أي....»

توقف «عمار»، وكأن الكلمات تُعاد صياغتها، ثم وقف من على كرسيه وتحدث بانفعال أكبر وصوت أعلى:

«بل قتله أحمد بدوي. أحمد بدوي هو من قتل «فايز». الخبير كبير في السن، لا أظنه يقوى على الحركة بعد الآن. إنه أحمد بدوي، الذي يسعى وراء الخبير طوال حياته، لم يستوعب أن «فايز» استطاع الوصول إليه من خلال قصص مكتوبة. أحمد بدوي الذي أصبح مستعدًا لأن يفعل أي شيء في مقابل أن يصل للخبير. قتل «فايز» الذي ضلله وأخبره أنه لا يمكن أن يصل للخبير بعد الآن، وها هو يصل إليه بمنتهى البساطة.



الآن فهمت لماذا قد يهتم أحدهم بكلمة السر لمجرد التواصل مع الخبير لدرجة قتله. «فايز» أراد الانتحار بالفعل، وقد كتب رسالة انتحاره بيده، ووضع في المظروف كل ما يريد إيصاله إليّ، ووضعهم في المقهى وعاد ليجد أحمد قد اكتشف كل شيء.. ثم قتله.

الآن قررت لمن يجب أن أرسل هذا التسجيل، لمن أرسل رسالة لـ«فايز» يخبره بأنه لن يكمل وحده.. لمن يفهم «فايز» كما فهمه».

«حفظ»

«تم الحفظ»

«فتح موقع الخبير وإرسال رسالة»

«هذا الأمر يتطلب كلمة مرور»

«لن تكمل وحدك»

«كلمة المرور صحيحة، من فضلك أدخل محتوى الرسالة»

«إرسال التسجيل الأخير»

«تم».

•••



* 38 *

ظل «عمار» على كرسيه أمام المنصة، يقع في قلب دائرة الضوء، وباقي المقهى يعم في ظلام مُطبق. جال في خاطره أن أحمد قد يراقبه كما راقب «فايز»، وأنه قد يأتي ليقتله كما قتل «فايز». على الرغم من افتقار هذا الهاجس إلى المنطق، فإن التوتّر والظلام قد عززاه.

تحفزّت حواسه كلها، دار على كرسيه ليواجه الباب، وحاول أن يشق الظلام بعينيه. فجأة سمع صوتًا منخفضًا لاحتكاك معدني صادر من الباب، كأن أحدهم يحاول فتحه. وقف «عمار» مرة أخرى من كرسيه في محاولة للحكم إذا كانت تهيؤات أم حقيقة. وقبل أن يقرر، سمع صوت الباب يُفتح قاضيًا على أي أمل في كونها تهيؤات.

خرج بسرعة من دائرة الضوء، ودار ليختبئ تحت طرف المنصة في الظلام. سمع صوت خطوات يحرص صاحبها ألا يجعلها مسموعة، ثم صوت الباب يُغلق مرة أخرى. بالطبع يعرف «عمار» هذه الخدعة. من المفترض أن يطمئن الآن لخروج القاتل، ويخرج ليجد أحمد مُمسكًا بسلاحه أمامه. انتظر لدقائق بدت طويلة، واطمأن بعض الشيء فقال بصوتٍ مرتفع:

«الإضاءة.. إضاءة المقهى.. الإضاءة الكاملة»

— تبًا يا «فايز»، قلت لك أننا سنحتاج نظام الأوامر الصوتية.

زحف قليلًا حتى وصل إلى دائرة الضوء، وأمسك زجاجة بيده، وباليد الأخرى أنار أضواء المقهى. انتظر لدقائق قبل أن يرفع رأسه جزئيًا باحثًا عن أي تهديد مُحتمل، فلم يجد. اقتنع أن لا بد لأحمد أنه ظن أن المكان مُغلق، أو لا بد أن..

توقف عقله عن العمل عندما لاحظ شيئًا غريبًا على الحائط.. البرواز، لقد اختفى. وقف لا إراديًا وقد نسى الخطورة المحتملة، وبدأ عقله مجددًا في العمل:

«من قد يتكبد عناء اقتحام المقهى فقط كي يسرق هذا البرواز؟ هذا البرواز لم يكن مُهمًا لأحد سوى..»

اتسعت عيناه، وكأن عقله تنوّر دفعة واحدة، وتزاحمت مشاهد ومقتطفات من القصص والرسائل والأحداث في المقهى حوله، وكأن عقله انفصل عنه، والأحداث تتحرك في دائرة خارجية هو مركزها.

تذكر دخول مفتش الضرائب، والذي حثّه بطريقة غير مباشرة على فتح المظروف بعد عدم اقترابه منه خلال هذا الشهر، ثم اختفاءه عند خروجه، تفاجأ عندما تذكر اسمه «أنس عمر» كأسماء شخصيتين في القصص المُرسلة.

تذكر «فايز»، وهو يتحدث:

«أنت لا تفهم يا «عمار»، لا تفهم أن تعيش طوال حياتك بدون أن يراك أحد، بدون أن يلاحظك أحد، تعيش كالظل الكل يعتاد وجودك، ولا يهتمون بغيابك، أكثر ما تتمناه أن يبتسم لك أحدهم ويقول «أراك» وإن كان مُجاملًا حتى. أنت تتنقل من هذه لتلك، وأصدقاؤك كثيرون، حتى إنك تزوجت مُسبقًا.. لحياتك قيمة عند أحدهم. هل تعلم لماذا أخبره الخبير بأنه سيُرسل له بطاقة عندما يموت؟ لأنه يعلم أن لا عزاء لمثله، فلا أهل ولا أصدقاء، يا «عمار» إننا مختلفان، لذا لا يمكنك أن تقتنع بما اقتنعت به.. كيف لمثلك يا «عمار» أن يفهم مثلي؟»

واسترجع حديثه السابق أثناء التسجيل، وسؤاله عمن يبحث عن الجرعة القاتلة قبل انتحاره، إلا إذا أراد أن يُثبت أنه انتحر.

ثم استرجع كلام الضابط الذي أبلغه بموت «فايز»:

«حسنًا، سآخذ أنا هذه الورقة. تم نقل الجثمان للمشرحة بواسطة أحد أطباء الطب الشرعي بعد معاينته في شقة المرحوم، وسيخرج التقرير الرسمي خلال يومين».

ثم رأى حديث الخبير لأحمد في الخزنة:



«لن يفعل، أنت لا تعلم كم الجثث التي تدخل المشرحة كل يوم.. بل لا تعلم كم الجثث التي تُسرق من المشرحة ولا يهتم أحد بكيفية دخولها، أو خروجها، إنها مجرد أرقام بالنسبة لهم. كذلك إذا تمكنت أن تأتي لي بالطعام سأكون شاكرًا لك. أما إذا خفت من أن يُقال بأن بيننا صداقة، وأنني طلبتك مرتين بالاسم، يمكنك أن تُرسل محمودًا.. لن نفتح الباب لوجه جديد».

قفزت في ذهنه الأسئلة، ولماذا قد يتكبد عناء إخفاء أثره بهذه الطريقة؟ هل كي لا يبحث عنه أحمد إذا اختفى؟ قفزت الإجابة إلى رأسه متمثلةً في جملة على لسان الخبير في أول مشهد له في القصص:

«هناك طرق أسهل بالطبع، ولكني أفضّل الطرق الطويلة المضمونة..»

ثم تمثلت كلمة السر التي اكتشفها بنفسه أمامه بحروف كبيرة:

«لن تكمل وحدك»

ابتسم عندما فهم أنها رسالة لـ«فايز» من الخبير، ولم يكن من المُقدّر له أن يفهمها من الأساس. ثم ضرب جبهته بكفه، وبدأ في الضحك بصوت منخفض حتى تمثلت جمل «فايز» أمامه:



«لكن من الواضح أنه يجب تجربة الموت قبل محاولة الحياة».

أخذ يتلفت حوله كأنه ينظر للأفكار المرصوصة أمامه، وضحكته تعلو أكثر فأكثر. ثم مسح رأسه بيده التي ما زالت على جبهته حتى تلك اللحظة، وما زال جسده يهتز بفعل الضحك المكتوم. ثم قال ونظره معلق على مكان البرواز الفارغ:

— يا أولاد الـ....

•••

..تمت..